السياق وأثره على المعنى
في وصايا لقمان في القرآن الكريم

إعداد الدكتورة
هيام أحمد علي فتح الباب
مدرس بقسم أصول اللغة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات بني سويف

السياق وأثره على المعنى في وصايا لقمان في القرآن الكريم

هيام أحمد علي فتح الباب

قسم أصول اللغة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف، جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : hayamahmed1976@gmail.com

ملخص البحث :

يتضمن القرآن الكريم صوراً كثيرة من صور التربية الإسلامية التي نحن بحاجة إليها في ظل هذه التغيرات المختلفة التي نعيشها اليوم، من تغريب وعولمة وحداثة والتغيرات الأخرى من مفرزات الثقافات الأجنبية، حيث تحاول السيطرة والهيمنة على البشرية، وبخاصة الأمم الإسلامية لتفقدها الهوية داخل ما يسمى بالقرية الكونية الجديدة.

ومن هنا تبرز أهمية موضوع هذا البحث (السياق وأثره على المعنى في وصايا لقمان في القرآن الكريم) ،حيث يسهم في تأصيل ودراسة صورة من صور المنهج القرآني في التربية الإسلامية للإنسان الذي هو محور الحياة من خلال دراسة دلالات وصايا لقمان الحكيم لابنه في ضوء نظرية السياق، وهي تلك الوصايا التي خلدها القرآن الكريم، فوردت في سورة لقمان من الآية (١٢) إلى الآية (١٩) .

ويهدف هذا البحث إلى بيان دور السياق اللغوي في إبراز المعني الدقيق للتعبير القرآني من خلال النص ، حيث جمعت تلك الوصايا في عمومها جل مظاهر التربية الإسلامية التي تصلح للبشرية كلها في كل زمان ومكان ؛ لأنها اشتملت على جوانب الحياه فتدرجت من الجانب العقدي إلى الجانب الأخلاقي إلى الجانب السلوكي .

الكلمات المفتاحية : أُثر السياق ، وصايا لقمان ، القرآن الكريم .

The context and its impact on the meaning in the commandments of Luqman in the Holy Qur'an

Hayam Ahmed Ali Fath-El Bab

Origins of languages Department, Faculty of Islamic and Arabic Studies, in Beni Sueif, Al Azhar University, Arab Republic of Egypt.

E-Mail : hayamahmed1976@gmail.com

Abstract :

The Holy Qur'an includes many forms of Islamic education that we need in light of these different changes which we are living today, from westernization , globalization , modernity and other changes from the results of the foreign cultures that are trying to dominate mankind, especially Islamic nations to make them lose their identity in the so-called (the new Global village)

The importance of the research topic (The context and its impact on the meaning in the commandments of Luqman in the Holy Qur'an) is evident in that it contributes to the consolidation and study of an image of the Qur'anic curriculum in Islamic education for the human being, who is the center of life, by studying the

implications of the commandments of (Luqman al-Hakem) for his son with the context theory.

These are the commandments immortalized by the Holy Qur'an, which are mentioned in Surat Luqman from verse 12 to verse 19. This research aims to explain the role of the linguistic context in highlighting the precise meaning of the Qur'an wording through the text. These commandments in their entirety combined all aspects of Islamic education that are suitable for all humankind in every time and place.

Because it included aspects of life and ranged from the ideological side to the moral side to the behavioral side.

Key words: The context impact , The commandments of Luqman, The Holy Qur'an.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل اللغة أداة للتواصل وقيضها وسيلة للتعبير والتفاعل، والصلاة والسلام على النبي المصطفى أفصح الخلق ،وأشرفهم ، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

القرآن الكريم كلام الله عز وجل المنزل على سيد الخلق محمد صلى الله عليه و سلم ، فهو أشرف الكتب السماوية وأجلها على الإطلاق وأزكاها، والبحث في أوجه إعجازه وبلاغة نطقه وفصاحة معانيه أفضل الأعمال وأعظمها ، ومن منحه الله عز وجل العلم بكتابه والمعرفة بأسرار فصاحته، فقد خصه بالشرف العظيم، والفضل الواسع، والعلم الغزير.

إن دلالة السياق من أهم القرائن التي تدل على مراد المتكلم لإثبات المعنى المراد دون غيره، لذلك اهتم علماء التفسير بالسياق وخاصة السياق القرآني، الذي يوضح المعنى ويؤكده ويدفع المتوهم ويرجح المراد، فدلالة السياق من المعايير الأساسية لفهم معاني القرآن واستجلائها.

وتعد نظرية السياق من أهم نظريات علم الدلالة التي عنيت بالكشف عن المعنى وتوضيحه، ولاسيما في القرآن الكريم ، فالسياق يوضح أوجه إعجازه وبلاغة معانيه، وسوف نتناول في هذا البحث دور السياق في قصة من قصص القرآن الكريم وهي حوار لقمان الحكيم مع ابنه ووصاياه.

ومما لاشك فيه أن نظرية السياق نظرية عربية أصيلة ، وليست غربية، فقد تنبه لها الكثير من المفسرين، واللغويين، وتراثنا يشهد بذلك .

وقد ذكر الله تعالى على لسان لقمان من الحكمة والموعظة الحسنة في وصاياه لابنه، وهي وصايا ومواعظ جامعة تفيض بالحكمة، والإصابة في الأمر، تتعلق بالعقيدة والعبادة والسلوك الحسن والأخلاق الحميدة .

وإذا كان الله وهب لقمان الحكمة، وهي جماع الخير كله تصديقاً لقول الحق تعالى:﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾(١) .

فإن مجموع المواعظ التي اختارها لقمان في وعظ ابنه هي من فيض الحكمة لأنها قول الحكيم وأثر حكمته. لهذا يجب الأخذ بها وتنشئة الأبناء عليها.

ومن هنا كانت أهمية فكرة هذا البحث، وعنوانه: السياق وأثره على المعنى في وصايا لقمان في القرآن الكريم.

وقد أوضحت فيه أثر السياق في توجيه الدلالة الصوتية والصرفية والتركيبية وأهم التعابير الاصطلاحية، لآيات وصايا لقمان من آية ١٢ إلى آية ١٩ في سورة لقمان.

ويهدف هذا البحث إلى بيان دور السياق اللغوي في إبراز المعني الدقيق للتعبير القرآني من خلال النص، حيث جمعت تلك الوصايا في عمومها جل مظاهر التربية الإسلامية التي تصلح للبشرية كلها في كل زمان ومكان؛ لأنها اشتملت على جوانب الحياة فتدرجت من الجانب العقدي إلى الجانب الأخلاقي إلى الجانب السلوكي.

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع : جلالة البحث في ألفاظ القرآن الكريم وفصاحة معانيه مع اهتمامي بإبراز دور السياق، وأهميته في الكشف عن توجيه المعنى، مع إبراز الخصائص السياقية للمعنى القرآني.

والمنهج المتبع في تلك الدراسة هو المنهج الوصفي، القائم على التحليل للمستويات اللغوية لكل آية.

والدراسات السابقة التي دارت حول السياق في القرآن الكريم، كان منها:

(١)(سورة البقرة: ٢٦٩).

-السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني د. زيد عمر عبد" ، بحث في مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية)١٤٢٣هـ -٢٠٠٣ م

-أثر السياق في دلالة الصيغة الصرفية في القرآن الكريم، رسالة تخصص (ماجستير):مروة عباس حسن، كلية التربية للعلوم الإنسانية -جامعة ديالي -عام ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

احتوى التمهيد على: التعريف بسورة لقمان وأسباب نزولها ومكانتها وفضلها، مع نبذة عن سيرة الحكيم لقمان.

المبحث الأول: نظرية السياق.

واشتمل على:

أولاً: مفهوم السياق.

ثانياً: السياق عند القدماء.

ثالثا: نظرية السياق .

المبحث الثاني : السياق وأثره على المعنى في وصايا لقمان في القرآن الكريم. واشتمل على:

أولاً: سياق الآية الأولى.

ثانياً: سياق الآية الثانية.

ثالثاً: سياق الآية الثالثة.

رابعاً: سياق الآية الرابعة.

خامساً: سياق الآية الخامسة.

سادساً: سياق الآية السادسة.

سابعاً: سياق الآية السابعة.

ثامناً: سياق الآية الثامنة.

الخاتمة : واحتوت على أهم النتائج .

وبعد فهذا جهد المقل فما كان فيه من صواب فمن الله الرحمن الكريم المنان، وما كان فيه من خطأ فمني، وأسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد والحمد الله رب العالمين.

تمهيد

سورة لقمان:

هي من السور المكية[1]، وهي لا تعرف إلا بهذا الاسم، اختصت بذكر لقمان وحكمته، ووصيته ووعظه لابنه، فسمِّيت بسورة لقمان ، ولم يذكر اسم لقمان الحكيم إلا في هذه السورة ، وهذه السورة هي السابعة والخمسون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الصافات وقبل سورة سبأ[2]، وعدد آياتها ثلاثة وثلاثين في عد أهل المدينة ومكة، وأربعا وثلاثين في عد أهل الشام والبصرة والكوفة.

وهذه السورة مكية غير آيتين قال قتادة أولهما ﴿وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ﴾[لقمان: ٢٧] إلى آخر الآيتين، وقال ابن عباس ثلاث آيات أولهن تلك الآية[3] ، وكلمات السورة خمسمائة وثمانٍ وأَربعون. وحروفها أَلفان ومائة وعشر. فواصل آياتها (ظن مرد) و (مد نظر) على الدال منها آية واحدة: ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ، وعلى الظَّاءِ آية:﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.[4]

---

(1) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت ٦٨٥هـ) ٢١٢/٤، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١ - ١٤١٨ هـ.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ص١٩٣/١، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم -ط١ ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م- دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركائه.

(٣)ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) ٣٤٥/٤ تح: عبد السلام عبد الشافي محمد-دار الكتب العلمية – بيروت ط١- ١٤٢٠ هـ.

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) ٣٧٠/١ تح: محمد علي النجار-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.عام١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

ارتباط السورة بما قبلها:

قال سبحانه وتعالى في سورة الروم التي تسبق سورة لقمان:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[الرُّومِ: ٥٨] إِشَارَةً إِلَى كَوْنِهِ مُعْجِزَةً وَقَالَ: ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ ﴾ [الرُّومِ: ٥٨] إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِالْآيَاتِ ثم بَيَّنَ ذَلِكَ في سورة لقمان بِقَوْلِهِ: ﴿الم تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ بَعْدَ هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً ﴾ [لقمان: ٧] (١)

أسباب النزول:

قيل "سَبَبُ نُزُولِهَا أَنَّ قُرَيْشًا سَأَلَتْ عَنْ قِصَّةِ لُقْمَانَ مَعَ ابْنِهِ، وَعَنْ بِرِّ وَالِدَيْهِ، فَنَزَلَتْ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ إلا الآيات الثلاثة: ﴿وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ﴾ (لقمان ٢٧)إِلَى آخِرِهِنَّ، لَمَّا نَزَلَ﴿وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(الإسراء ٨٥).وَقَوْلُ الْيَهُودِ: أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى وَخَلَفَهَا فِينَا ومعنا، فقال الرسول ﷺ: التَّوْرَاةِ وَمَا فِيهَا مِنْ الْأَنْبَاءِ قَلِيلٌ فِي عِلْمِ الله ، فنزل: ﴿وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ﴾.(٢)

وورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾(لقمان ٦) "أنها نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغني بهجاء محمد ﷺ وسبه فنزلت الآية في ذلك، وقيل: إنه ابن خطل وروي عن أبي أمامة الباهلي بأن النبي ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهن حرام» وقرأ هذه الآية، وقال في هذا المعنى أنزلت علي هذه الآية، وبهذا فسر ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد، وقال الحسن لَهْوَ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)١١٤/٢٥-دار إحياء التراث العربي – بيروت ط٣ ١٤٢٠ هـ.

(٢) ينظر البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ):٤٠٨/٨تح: صدقي محمد جميل- دار الفكر – بيروت- ط ١٤٢٠ هـ.

الْحَدِيثِ المعازف والغناء، وقال بعض الناس نزلت في النضر بن الحارث لأنه اشترى كتب رستم واسبندياد وكان يخلف رسول الله ﷺ فيحدثهم بتلك الأباطيل ويقول أنا أحسن حديثا من محمد، وقال قتادة: الشراء في هذه الآية مستعار، وإنما نزلت الآية في أحاديث قريش وتلهيهم بأمر الإسلام وخوضهم في الأباطيل."[1]

كما روي أن قوله تعالى:﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ (لقمان١٤) نَزَلَتْ "في سعد بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ أَبُو إِسْحَاقَ الزُّهْرِيُّ وَأُمُّهُ حَمْنَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ لَمَّا أَسْلَمَ، وَكَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَكَانَ بَارًّا بِأُمِّهِ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي أَحْدَثْتَ وَاللَّهِ لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَوْ أَمُوتَ فَتُعَيَّرَ بِذَلِكَ أبد الدهر، فيقال: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ، ثُمَّ إِنَّهَا مَكَثَتْ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ وَلَمْ تَسْتَظِلَّ فَأَصْبَحَتْ وقد جَهَدَتْ ثُمَّ مَكَثَتْ يَوْمًا آخَرَ وَلَيْلَةً لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ، فَجَاءَ سَعْدٌ إِلَيْهَا وَقَالَ: يَا أُمَّاهُ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تركت ديني فلي وَإِنْ شِئْتِ فَلَا تَأْكُلِي، فَلَمَّا أَيِسَتْ مِنْهُ أَكَلَتْ وَشَرِبَتْ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَمَرَهُ بِالْبِرِّ بِوَالِدَيْهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا وَأَنْ لَا تطعهما فِي الشِّرْكِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ جاهَداكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما﴾.[2]

أغْرَاضُ السُّورَةِ:

تتصل الْأَغْرَاضُ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ السُّورَةُ بِأَسْبَابِ نُزُولِهَا الَّتي تَقَدَّمَ ذِكْرُها "فَصُدِّرَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِالتَّنْوِيهِ بِهَدْيِ الْقُرْآنِ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَايَشْتَمِلُ إِلَّا عَلَى مَا فِيهِ هُدًى وَإِرْشَادٌ لِلْخَيْرِ وَمِثْلَ الْكَمَالِ النَّفْسَانِيِّ، فَلَا الْتِفَاتَ فِيهِ إِلَى أَخْبَارِ الْجَبَابِرَةِ وَأَهْلِ

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطيةالأندلسي:٣٤٥/٤.ومعالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ) ٥٨٤/٣،تح : عبد الرزاق المهدي ،دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ ،١٤٢٠ هـ. وينظر أنوار التنزيل، للبيضاوي :٢١٣/٤

(٢) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي: ٥٥١/٣.تخريج الحديث (١٦٢٠).

الضَّلَالِ إِلَّا فِي مَقَامِ التَّحْذِيرِ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَمِنْ عَوَاقِبِهِ، فَكَانَ صَدْرُ هَذِهِ السُّورَةِ تَمْهِيدًا لِقِصَّةِ لُقْمَانَ،وَابْتُدِئَ ذِكْرُ لُقْمَانَ بِالتَّنْوِيهِ بِأَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَأَمَرَهُ بِشُكْرِ النِّعْمَةِ. وَأُطِيلَ الْكَلَامُ فِي وَصَايَا لُقْمَانَ وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ: مِنَ التَّحْذِيرِ مِنَ الْإِشْرَاكِ، وَمِنَ الْأَمْرِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَمِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ لِأَنَّهُ عَلِيمٌ بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ، وَالْأَمْرِ بِالِاتِّسَامِ بِسِمَاتِ الْمُتَوَاضِعِينَ فِي الْمَشْيِ وَالْكَلَامِ.

وَسَلَكَتِ السُّورَةُ أَفَانِينَ ذَاتَ مُنَاسَبَاتٍ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ وَصِيَّةُ لُقْمَانَ لِابْنِهِ، وَأُدْمِجَ فِي ذَلِكَ تَذْكِيرُ الْمُشْرِكِينَ بِدَلَائِلِ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِنِعَمِهِ عَلَيْهِمْ وَكَيْفَ أَعْرَضُوا عَنْ هَدْيِهِ وَتَمَسَّكُوا بِمَا أَلْفَوْا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ. وَذُكِرَتْ مَزِيَّةُ دِينِ الْإِسْلَامِ. وَتَسْلِيَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمَسُّكِ الْمُسْلِمِينَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَأَنَّهُ لَا يُحْزِنُهُ كُفْرُ مَنْ كَفَرُوا. وَانْتَظَمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الرَّدُّ عَلَى الْمُعَارِضِينَ لِلْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ﴾[لُقْمَان: ٢٧] وَمَا بَعْدَهَا. وَخُتِمَتْ بِالتَّحْذِيرِ مِنْ دَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، وَالتَّنْبِيهِ إِلَى بطلَان ادِّعَاء الْكُهَّان عِلْمِ الْغَيْب."[1]

فضل سورة لقمان:

قيل افتتاح السورة بقوله تعالى﴿الم (١) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (٢) ﴾الألف تشير إلى آلائه،

واللام تشير إلى لطفه وعطائه، والميم تشير إلى مجده وسنائه فبآلائه يرفع الجحد عن قلوب أوليائه، وبلطفه وعطائه يثبت المحبة في أسرار أصفيائه، وبمجده وسنائه مستغن عن جميع خلقه بوصف كبريائه" [2]

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٣٧١/١.والتحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ): ١٣٨،١٣٩/٢١-الدار التونسية للنشر – تونس عام ١٩٨٤ هـ.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري(ت ٤٦٥هـ)١٢٧/٣ تح: إبراهيم البسيوني-الهيئة المصرية العامة للكتاب.مصر.ط٣.

لقمان الحكيم:

لقد كثرت الروايات حول لقمان الحكيم ونسبه فقيل: "لُقْمَانُ: اسْمُ عَلَمٍ، فَإِنْ كَانَ أَعْجَمِيًّا فَمَنْعُهُ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعُجْمَةِ وَالْعَلَمِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا فَمَنْعُهُ لِلْعَلَمِيَّةِ وَزِيَادَةِ الْأَلِفِ وَالنُّونِ، وَيَكُونُ مُشْتَقًّا مِنَ اللَّقْمِ مُرْتَجَلًا، إِذْ لَا يُعْلَمُ لَهُ وَضْعٌ فِي النَّكِرَاتِ." (١)

و"قيل عِبْرانيّ، وقيل سُرْيانيّ. قيل هو عادٌ من قوم هُودٍ الذى سأَلَ اللهَ تعالى طولَ العُمْر فاستجاب دُعاءه وعُمِّر ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة إلى أَن أَدْرَك سُلَيْمانَ، وكان له من الحِكَمِ والتجارب ما لم يكن لأَحد...وقيل لم يكن هذا لقمان عاد، بل كان عبداً أَسْوَدَ أَطاع الله تعالى وأَطاع مالِكَه فارتضاه الله تعالى ورَزقه الحِكْمَة. (٢) ومن الدّليل على علوّ قدْره ورِفْعة شأْنه أَنّ الله تعالى ذكر مواعِظه فى أَشرف الكُتب السماويّة الذى هو القرآن، ونقلها على لسان أَشرف الرّسل إلى أَشرف الأُمم، وذكر اسمه فى موضعَيْن من التنزيل قال، تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحكمة﴾، الثانى عند ذكر مَواعِظه:﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يابني لاَ تُشْرِكْ بالله﴾".(٣)

واختلف هل هو نبي أم رجل صالح ، واتفق الجمهور على أنه كان حكيماً "فقال بنبوته عكرمة والشعبي، وقال بصلاحه فقط مجاهد وغيره، وقال ابن عباس: سمعت النبي ﷺ يقول «لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه فمن عليه بالحكمة وخيره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق، فقال يا رب إن

(١) ينظر: البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ١٤٦/٢ وما بعدها، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي ط١: ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ٣١٤/١، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. تهذيب الأسماء واللغات ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ٧١/٢، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:٤٠٧/٨ .

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز ،الفيروزآبادى: ٩٠/٦ .

خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء وإن عزمت علي فسمعا وطاعة فإنك ستعصمني وكان قاضياً في بني إسرائيل نوبياً أسود مشقق الرجلين ذا مشافر» ، قاله سعيد بن المسيب ومجاهد وابن عباس، وقال له رجل كان قد رعى معه الغنم ما بلغ بك يا لقمان ما أرى؟ قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعني، وقال ابن المسيب: كان من سودان مصر من النوبة، وقال خالد بن الربيع: كان نجاراً، وقيل كان خياطاً، وقيل كان راعياً، وحكم لقمان كثيرة مأثورة، قيل له وأي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئا." (١)

"قَالَ الْوَاقِدَيُّ: كَانَ قَاضِيًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ حَكِيمًا وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا عِكْرِمَةَ فَإِنَّهُ قَالَ كَانَ لُقْمَانُ نَبِيًّا وَتَفَرَّدَ بِهَذَا الْقَوْلِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: خُيِّرَ لُقْمَانُ بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ فَاخْتَارَ الْحِكْمَةَ." (٢)

وقيل: "عاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه،(٣)...، وأن داود عليه السلام قال له يوماً كيف أصبحت فقال أصبحت في يدي غيري، فتفكر داود فيه فصعق صعقة. وأنه أمره بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب، ثم بعد أيام أمره بأن يأتي بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضاً فسأله عن ذلك فقال: هما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا." (٤)،"وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: قَرَأْتُ فِي حِكَمِ لُقْمَانَ أَكْثَرَ من عشرة آلاف"(٥).

وروي أن اسم ابن لُقْمانُ: أنعم أو أشكم أو ماثان أو ثاران.(٦)

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري :٤٩٣/٣.والمحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي:٣٤٧/٤. المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) ٥٥/١، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢ م.

(٢) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي : ٥٨٧/٣ . الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: ٩٢٨هـ)١٠٥/١، تح: عدنان يونس عبد المجيد نباتة مكتبة دنديس – عمان.

(٣)ينظر: البداية والنهاية ١٤٧/٢ وما بعدها.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي : ٢١٣/٤ .

(٥) ينظر: البحر المحيط لأبي الحيان الأندلسي٤١٢/٨

(٦) ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي :٣٤٨/٤.وأنوار التنزيل ،للبيضاوي ٢١٤/٤.

المبحث الأول

نظرية السياق

تعد نظرية السياق إحدى نظريات علم الدلالة التي حظيت باهتمام اللغويين قديماً وحديثاً؛ فللسياق دوره البارز في توجيه دلالة النص وفهم الكلام، وإغفال السياق قد يؤدي إلى فهم الكلام على غير مراده.

أولا: مفهوم السياق:

قد استعملت كلمة (السياق) context حديثاً في عدة معان مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يعني الدراسات اللغوية هو معناها التقليدي وهو" النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم " بأوسع معاني هذه العبارة، والسياق على هذا التفسير يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة بل يشمل النص كله أي كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات وعناصر غير لغوية متعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة فهي الأخرى لها أهميتها البالغة في هذا الشأن.[١]

وقد اهتم علماء البلاغة بفكرة المقام المرتبطة بالسياق ، بل حكموها في كثير من أحكامهم النقدية والبلاغية، ولكن اختلفت وجهة علماء اللغة المحدثين حيث كانوا أكثر التفاتاً للتفاصيل التي تحيط بالمقام والسياق ودورهما في تحديد الدلالة بطريقة منهجية، لأنهم أدركوا– كما أدرك من تناول قبلهم من علماء البلاغة وعلماء اللغة _أن من طبيعة المعنى المعجمي التعدد والاحتمال، ويدل على ذلك حديث القدماء والمحدثين عن الترادف والمشترك اللفظي وغيرهما من ظواهر تعدد المعنى للكلمة المفردة.

(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة وتعليق د. كمال بشر: ص ٦٨ - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.

وواقع استعمال الكلمة يجعلها ذات دلالات متعددة، كأن تكون من المترادف أو المشترك اللفظي، أو من قبيل تعدد المعنى، أو الأضداد، ثم يتوقف تحديد معناها في كل هذا على معنى محدد نتيجة لاستعمال الكلمة في سياق سواء أكان هذا السياق لغويا Linguistic Context أم اجتماعياً Situational Context. [١]

ويؤكد فندريس على هذا فيقول :"الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات إنما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها؛ والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية".[٢]

ثانياً: السياق عند القدماء:

ولقد أدرك علماء اللغة قديماً وحديثاً هذه الوظيفة الهامة للسياق ؛ بل أن فكرة السياق ودلالته على المعاني الحقيقية للكلام كانت مطروحة في الفكر الإنساني منذ أفلاطون وأرسطو، حيث تحدث أفلاطون في كتابه (فيدروس) عن مراعاة مقتضى الحال في الخطابة ، وكذلك عرض أرسطو في كتابه (فن الشعر) لموضوع مقتضى الحال ، كما أشار إلى أن الفكرة هي القدرة على إيجاد اللغة التي يقتضيها الموقف ويتلاءم وإياه. [٣]

(١ ينظر:الكلمة، دراسة لغوية معجمية، د. حلمي خليل: ص ١٥٥،١٥٧.دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٨ م.

(٢) اللغة، ج.فندريس ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص:ص،٢٣١ مكتبة الإنجلو المصرية،١٩٥٠م.

(٣) ينظر: الكلمة، دراسة لغوية معجمية، د. حلمي خليل: ص ١٥٧.

وينقل لنا د .محمد داوود موقف القدماء فيقول "لقد فطن القدماء إلى فكرة السياق بنوعيه: اللغوي وغير اللغوي. ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني خير دليل على ذلك ، يقول عبد القاهر :(اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها) نلحظ هنا مدى الاهتمام بصحة الكلام ، وصحة الكلام لا شك مرتبطة بصحة المعاني الناتجة عن فكرة الواقعية ..وهذا سياق لغوي"(١)

وأيضا كان للزمخشري اهتماماً واضحاً بالسياق اللغوي في تفسيره (الكشاف)خاصة في توجيه الإعراب، حيث كان يقدم أكثر من وجه للآية ولكل وجه معنى .

أما اهتمام القدماء بالسياق غير اللغوي (سياق الموقف) فواضح عند البلاغيين حيث عرفوا البلاغة أنها: (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته) وذكر أبوهلال العسكري وغيره عبارة (لكل مقام مقال) ،ودعا الجاحظ إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال...ونجد ابن خلدون أيضا يهتدي إلى سياق الموقف ،وهو سياق غير لغوي ويسميه سياق (بساط الحال).(٢)

وهذا ما يؤكده د .عبد الفتاح البركاوي :"أن مفهوم السياق في معنى الظرف الخارجي يرادفه في التراث العربي كلا من المقام والحال والموقف. كما يشير إلى: أن مفهوم السياق عند العرب كان يتسع أيضا لما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بسياق النص verbal context وسياق الموقف أو المقام الخارجي وهو ما يعرف ب context of situation أي أن هذا السياق كما فهمه العلماء العرب

(١)العربية وعلم اللغة الحديث ،د.محمد محمد داود:ص٢٠١.
(٢) ينظر: السابق:ص٢٠٢.

يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال ومن المقام جميعا ويمكن تقسيمه تبعا لذلك إلى:

١- السياق اللغوي وهو المستفاد من عناصر مقالية داخل النص.

٢- السياق الخارجي وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص.(١)

ومن هنا أتت فكرة نظرية السياق التي مثلت حجر الأساس في علم المعنى. فقد أحدثت ثورة في طرق التحليل الأدبي، ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتاً، حيث أدت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن، كما أنها قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات: تلك الوسائل التي ظهرت أول الأمر على يد الأستاذين أوجدن وريتشاردز ، وفوق هذا كله، قد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق التمسك بما سماه الأستاذ فيرث: (ترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات: أي سياقات، كل واحد منها ينطوي تحت سياق آخر، ولكل واحد منها وظيفة بنفسه. وهو عضو في سياق أكبر وفي كل السياقات الأخرى، وله مكانه الخاص فيما يمكن أن نسميه سياق الثقافة). (٢)

إذن قامت نظرية السياق على أن تحديد المعنى اللغوي يقوم على معطيات السياق الذي ترد فيه الكلمات، وهذا يتطلب تحليلاً للسياق الذي ترد فيه، وعليه سوف نوضح ذلك فيما يأتي:

---

(١) ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: ص ٣٠– ط ١دار المنار بالقاهرة - ١٤١١ هـ -١٩٩١ م.

(٢)ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان: ص ٧٣ ، ٧٤ .

ثالثاً: نظرية السياق Context Theory:

تعد هذه النظرية بمثابة البديل الذي قدمه اللغويون الإنجليز لما يعرف في الدراسات اللغوية بالمذهب التركيبي أو البنيوية strukturalismuss. [١]

وقد ركزت المدرسة الاجتماعية الإنجليزية على دور سياق الكلمة في تحديد معناها، حيث أكدت على أن للكلمة عدة استعمالات سياقية وكل سياق يظهر أو يحدد أحد هذه المعاني أو وجهاً منها ، "وكما يقول الفيلسوف الألماني فتشنجين Wittgenstein : " معنى الكلمة يكمن في استعمالها في اللغة " ، وهو يقول أيضاً: " لا تسأل عن المعنى ولكن سل عن الاستعمال ".[٢]

ويرجع الفضل في إعادة الحياة إلى نظرية السياق مرة أخرى إلى العالم الإنجليزي فيرث Farth الذي تزعم هذا الاتجاه فأكد على الوظيفة الاجتماعية للغة. و صاغ من فكرة السياق نظرية علمية قد تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء ولكنها بلا شك تختلف من حيث المنهج وطريقة التطبيق ، مما جعل منها نظرية كاملة في دراسة المعنى .[٣]

ويشير د.محمود السعران إلى: أن استعمال مالينوفسكي ذلك المصطلح Context of Situation (سياق الحال)،أضفى على الاصطلاح، قيمة علمية ،ثم تطور هذا المصطلح تطوراً آخر باستعمال الأستاذ فيرث له في دراسته اللغوية ، وسياق الحال عند الأستاذ فيرث نوع من التجريد من البيئة ، أو الوسط الذي يقع فيه

(١) ينظر: السابق: ص ٤٦.
(٢) ينظر: العربية وعلم اللغة الحديث ،د.محمد محمد داود:ص١٩٦.
(٣) الكلمة، دراسة لغوية معجمية، د. حلمي خليل: ص١٥٧.

الكلام ، وهذا التجريد يقوم به اللغويون للوفاء بدراستهم حيث يشمل (سياق الحال) أنواع النشاط اللغوي جميعاً كلاماً ، وكتابة . [١]

ويقول د.أحمد مختار عمر أن: "معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه. ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة. ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: " معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى. وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها ".[٢]

لقد تتطلب دراسة معاني الكلمات عند أصحاب نظرية السياق تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها ، حتى ما كان منها غير لغوي . ولذلك اقترح بعضهم تقسيماً للسياق شمل كل ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية وظروف اجتماعية وخصائص وسمات ثقافية ونفسية وغيرها. [٣]

فقد اقترح K. Ammer تقسيماً للسياق يشمل:

١. السياق اللغوي linguistic context.
٢. السياق العاطفي emotional context.
٣. سياق الموقف situational context.
٤. السياق الثقافي cultural context .[٤]

١- **السياق اللغوي** :هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً محدداً ، وهو يوضح

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ص ٢٥٢ – ط ٢- دار الفكر العربي – ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.
(٢) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ص ٦٨ – عالم الكتب ط٥، ١٩٩٨م.
(٣) مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور: ص ٣٥٤ –دار الفكر ٢٠٠٨ م.
(٤) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ص ٦٨ – عالم الكتب ط٥، ١٩٩٨م.

كثيراً من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياساً لبيان الترادف أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق، ونحو ذلك.

٢- **السياق العاطفي:** هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالتها العاطفية. ويحدد السياق العاطفي أيضاً درجة الانفعال قوة وضعفاً، إذ تنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال.

فالمتكلم الذي يكون في مثل هذه الحالة يستعمل كلمات من نحو: القتل والذبح والاحتقار والاستكراه الشديد، دون أن يقصد دلالتها الموضوعية، إذ لا يعدو ذلك كونه مبالغة في التعبير عن حالته العاطفية.

كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية، كأن تنطق وكأنها تمثل معناها تمثيلاً حقيقياً. ولا يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية. ويتضح هذا – كما يقول أولمان – في مجموعة معينة من الكلمات نحو (حرية وعدل)، إذ تشحن عادة بمضمونات عاطفية.

٣- **سياق الموقف:** يدل على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام. وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا السياق، كما عبر عنه البلاغيون بمصطلح (المقام)، وقد غدت كلمتهم (لكل مقام مقال) مثلاً مشهوراً. ويرى الدكتور تمام حسان أن ما صاغه مالينوفسكي تحت عنوان (Context Situation) سبقه إليه العرب الذين عرفوا هذا المفهوم قبله بألف سنة أو ما فوقها. لكن كتب هؤلاء لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده مصطلح مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات.

٤- **السياق الثقافي** :يظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد. فالمثقف العربي المعاصر يختار كلمة (زوجة) أو (مدام) للدلالة على امرأته، على حين يستخدم الرجل العادي كلمة (مَرَه) للدلالة على زوجته. ويحدد السياق الثقافي الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداماً عاماً. وينفرد السياق الثقافي بدور مستقل عن سياق الموقف الذي يقصد به عادة المقام من خلال المعطيات الاجتماعية. لكن هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي ضمن معطيات المقام عموماً. (١)

وقد كان اتجاه فيرث، وكثير من الباحثين هو جمع كل تلك الأقسام تحت نوعين من السياق، هما :

أ- السياق اللغوي Verbal Context:

وفيه تراعي القيمة الدلالية المستوحاة من عناصر لغوية مختلفة(صوتية ، مورفولوجية، نظمية ،معجمية) ، فالكلمة يتحدد معناها من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى في النظم، وهذا لا يشتمل على الجملة وحدها، بل ينتظم الفقرة أو الصفحة أو الفصل أو الباب أو الكتاب كله.

ب- السياق غير اللغوي " سياق الموقف " Context of Situation:

وهو يمثل الظروف والملابسات والمواقف التي تم فيها الحدث اللغوي فتتصل به ،وهو ما أطلق عليه الدكتور كمال بشر : المسرح اللغوي ، ويسميه Firth: " سياق الحال" ويعرفه بأنه جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي ، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع ، وتكوينهما الثقافي ، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع – إن وجدوا – وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي ، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف

(١) ينظر: مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور: ص ٣٥٣ – ٣٥٩ - دار الفكر ٢٠٠٨ م.

الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل ، وكالوضع السياسي ، وكمكان الكلام " [١] وهذا ما قال به العرب قديما، وسبق تناول ذلك.

إذن السياق غير اللغوي يضم سياقات متنوعة، وهي : السياق العاطفي ، والسياق الثقافي ، وسياق الموقف ، "ولكل واحد منها دور يسهم به في تحديد المعنى ، فدرجة الانفعال قوةً وضعفاً في الحديث تؤثر في تحديد المعنى ، فقوة الانفعال تؤكد مثلا دلالة "الغضب" أو دلالة " الفرح الشديد " أو دلالة " الحزن " ، كذلك المحيط الثقافي لكلمة ما يؤثر قي تحديد المعنى ، فدلالة كلمة " جذر " عند الفلاح تختلف عن دلالتها عند اللغوي ، وهي في مجال الرياضيات بمعنى ثالث يختلف عن معناها عند الفلاح وعند اللغوي"[٢] .

ويقول د. تمام حسان: عن كيفية دراسة السياق غير اللغوي في الكلام المكتوب:" وإذا كان "المقال" المكتوب لا يقع في أثناء قراءته في وقت لاحق في مقامه الاجتماعي الذي كان له في الأصل فان هذا المقام الأصيل من الممكن بل من الضروري أن يعاد بناؤه في صورة وصف له مكتوب حتى يمكن للنص أن يفهم على وجهه الصحيح. وفي بناء هذا المقام الأصيل بناء جديداً بواسطة وصفه كما كان لابد من الرجوع إلى الثقافة عموماً والتاريخ بصفة خاصة. وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلاً كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحاً في النهاية حين تصبح كل عبارة من عبارات النص واضحة بما يجليها من القرائن الحالية التاريخية والقرائن المقالية التي في وصف المقام". [٣]

---

(١) ينظر: علم اللغة مقدمة للقاريء العربي ، د.محمود السعران:ص٢٥٢ . والكلمة ، د.حلمي خليل: ص ١٦١. والعربية وعلم اللغة الحديث ، د. محمد محمد داود:ص١٩٩.

(٢) العربية وعلم اللغة الحديث، د.محمد محمد داود:ص١٩٩.

(٣)اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ص ٣٤٦- ط٣ عالم الكتب – ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

فمعنى هذا أن وضوح التعرف على السياق غير اللغوي في النص المكتوب يتوقف على وضوح وصف الظروف والملابسات المصاحبة للنص.

وقد أضاف د/ البركاوي نوعاً آخر من السياق ، وهو السياق الصفري ، فيكون عند تعدد المعاني مع عدم وجود قرينة ترجح المعنى المراد من النص وكأن ترجيح أحد المعاني يعتبر في حد ذاته سياقا، عبر عنه د/ البركاوي بالسياق الصفري، وهو يندرج تحت السياق اللغوي، فقال:"...وهنا يصبح عدم وجود القرينة السياقية في حد ذاته نوعا من أنواع السياق السلبي ، الذي يفيد أن المعاني الاحتمالية كلها مرادة للقائل، وهنا يصح لنا أن نطلق على هذه الحالة مصطلح (السياق الصفري). إن للسياق الصفري دورا كبيرا في فهم وتفسير كثير من العناصر الصرفية وغيرها ومن أوضح الأمثلة على ذلك قوله تعالى في شأن يتامى النساء ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾(النساء:١٢٧) حيث إن معنى الرغبة هنا قد يكون بمعنى المحبة، وقد يكون بمعنى الكراهية، والذي يحدد ذلك هو عنصر السياق اللغوي المتمثل في حرف الجر، فإذا كان هذا الحرف هو (في) تحددت الرغبة بالمحبة، وإذا كان هذا الحرف هو (عن) كان المعنى الكراهية، وإذا لم يذكر أي من هذين الحرفين أصبح الأمر محتملاً لكلا المعنيين، وكأن المولى قد نهانا عن أخذ ميراث اليتامى سواء كن جميلات نرغب في نكاحهن، أم كن دميمات نرغب عن نكاحهن."[١]

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث :ص١٧٣،١٧٢.

المبحث الثاني

السياق وأثره على المعنى في وصايا لقمان في القرآن الكريم

توطئة:

تتم الدراسة السياقية للآيات الكريمة من خلال إبراز دور السياق في توجيه معاني الآيات الكريمة على المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي (من خلال بعض التعابير الاصطلاحية):

الدلالة الصوتية: هي ما يكون بين أصوات بعض الكلمات، وطرائق نطقها وبين معانيها من ارتباط . حيث توجد صلة في بعض الألفاظ العربية بين أصواتها ومعانيها ،وهو ما تنبه إليه كثير من العلماء، فبينوا أن العربي كان يربط بين الصوت والمعنى ، فيدل على المعنى الضعيف بأصوات ضعيفة ، وعلى المعنى القوي بأصوات قوية، مثل كلمتا(النضح)و(النضخ) فكلاهما لسيلان الماء ونحوه إلا أن الأول سيلان ضعيف فناسبته الحاء الرقيقة والثاني سيلان قوي فناسبته الخاء الغليظة، وكذلك في بعض الصيغ اللغوية كالمضعف بنوعيه الثلاثي والرباعي مما كان حكاية للأصوات مثل صر الجندب وصرصر البازي، وكالمصادر التي تتابعت حركاتها كالفعلان مثل الغليان والدوران ،كما أن طريقة الأداء من نبر وتنغيم لها دخل في التعبير عن ارتباط الصوت بالمعنى ،وهذا له أهمية في كشف جانب حيوي من جوانب دلالة الألفاظ . (١)

ولهذا اهتم علماء اللغة قديماً وحديثاً بعلاقة الصوت اللغوي بالمعنى ، و يعد ابن جني من أكثر العلماء الذين تحدثوا قديماً عن هذه الفكرة، فقد ذكرها في أكثر من باب في كتابه الخصائص منها : (باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، و(باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني). فتحدث فيهما عن فكرة محاكاة

(١) ينظر: علم الدلالة اللغوية، د.عبد الغفار حامد هلال:ص٢٤،٢٥ ط أولى عام ٢٠٠٠م.

الأصوات لمعانيها مع ذكر الأمثلة التي توضح ذلك ، كما نص على أنه موضع شريف لطيف تنبه إليه الخليل، وسيبويه ،وتلقته الجماعة بالقبول والصحة . (١)

فقد أفاض ابن جني في الحديث عن تلك العلاقة بين الأصوات ومعانيها، ثم تبعه في ذلك بعض علماء اللغة القدامى ومنهم :ابن فارس (ت٣٩٥ هـ) في معجم مقاييس اللغة حيث تناول استنباط الصلات بين الألفاظ ودلالتها على نحو ما عالجها ابن جنى. (٢)

واختلف علماء اللغة في العصر الحديث بين مؤيد ومعارض لهذه العلاقة ، فمنهم من قال بها مع عدم المغالاة فيها مثل (جسبرسن) ،ومنهم من عارضها لاعتبار أن لكل لغة طبيعتها فيصعب تعميم هذه العلاقة في كل اللغات، وكان من هؤلاء(دي سوسير) . (٣)

وأرى أن للصوت اللغوي علاقة بالمعنى الذي يدل عليه، فقوة اللفظ تدل على قوة الأصوات التي يتكون منها هذا اللفظ وتناسبه، وكذلك الأصوات الضعيفة تدل على المعنى الضعيف وتناسبه، وما ورد من أمثلة واستشهادات عند علماءنا العرب يؤيد ذلك، وعلى هذا فيقصد بالسياق الصوتي "دراسة الأصوات من خلال موقعها في التركيب، ورصد ما يحدث لها من ظواهر تحت عملية التأثر والتأثير، ذلك أن الأصوات تنشأ بينها علاقات، كالعلاقات التي نراها بين بني البشر"(٤).

كما أن للسياق أثر في توجيه الفواصل القرآنية: لأن فواصل الآيات القرآنية ماهي إلا صور صوتية متناغمة الجرس والموسيقى ، مع آياتها .

---

(١)ينظر: الخصائص، أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)٢/١٥٤،١٤٧الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٤.

(٢) ينظر: دلالة الألفاظ د.إبراهيم أنيس ص ٦٧ مكتبة الأنجلو المصرية – ط٥ عام ١٩٨٤ م.

(٣) ينظر: دلالة الألفاظ د.إبراهيم أنيس ص ٦٨:٧١.

(٤) من ظواهر السياق الصوتي عند علماء التجويد د. عبد العزيز علام ص٣٢٧ بحث نشر بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، جامعة الأزهر، عدد ٨ - ١٩٩٠م.

وورد أن " الْفَوَاصِلُ يَكُنَّ رُءُوسَ آيٍ وَغَيْرَهَا وَكُلُّ رَأْسِ آيَةٍ فَاصِلَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ فَاصِلَةٍ رَأْسَ آيَةٍ فَالْفَاصِلَةُ تَعُمُّ النَّوْعَيْنِ وَتَجْمَعُ الضَّرْبَيْنِ"(١)، وَتُسَمَّى فَوَاصِلَ لِأَنَّهُ يَنْفَصِلُ عِنْدَهَا الْكَلَامَ وذلك أن آخر الآية قد فَصْلٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا بَعْدَهَا وَلَمْ يُسَمُّوهَا أَسْجَاعًا ثُمَّ فَرَّقُوا بَيْنَهُمَا فَقَالُوا السَّجْعُ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ فِي نَفْسِهِ ثُمَّ يُحِيلُ الْمَعْنَى عَلَيْهِ وَالْفَوَاصِلُ التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها. (٢)

وذكر السيوطي:" الْفَاصِلَةُ كَلِمَةٌ آخِرَ الْآيَةِ كَقَافِيَةِ الشِّعْرِ وَقَرِينَةِ السَّجْعِ ،وَقَالَ الدَّانِيُّ: كَلِمَةٌ آخِرَ الْجُمْلَةِ"(٣)

كما ذكر"وَقَالَ الْجَعْبَرِيُّ: لِمَعْرِفَةِ الْفَوَاصِلِ طَرِيقَانِ: تَوْقِيفِيٌّ وَقِيَاسِيٌّ أَمَّا التَّوْقِيفِيُّ فَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَيْهِ دَائِمًا تَحَقَّقْنَا أَنَّهُ فَاصِلَةٌ وَمَا وَصَلَهُ دَائِمًا تَحَقَّقْنَا أَنَّهُ لَيْسَ بِفَاصِلَةٍ وَمَا وقف عليه مرة ووصله أُخْرَى احْتَمَلَ الْوَقْفُ أَنْ يَكُونَ لِتَعْرِيفِ الْفَاصِلَةِ أَوْ لِتَعْرِيفِ الْوَقْفِ التَّامِّ أَوْ لِلِاسْتِرَاحَةِ وَالْوَصْلُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ فَاصِلَةٍ أَوْ فَاصِلَةً وَصَلَهَا لِتَقَدُّمِ تَعْرِيفِهَا."(٤)

وقد كثر في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك.(٥)

الدلالة الصرفية:

تؤدي بنية الكلمة ومشتقاتها وصيغها دوراً كبيراً في الدلالة على المعنى ،فصيغ الأفعال تدل على الحدث وزمنه ،وما يتصل بهذه الأفعال من حروف الزيادة والتوكيد

(١)البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)٥٤/١، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم.ط١ ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م -دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

(٢)ينظر: البرهان في علوم القرآن:٥٤/١.

(٣)ينظر:الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)٣٣٢/٣تح:محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٤)ينظر: الإتقان في علوم القرآن،٣٣٣/٣.

(٥) ينظر: من أسرار التعبير في القرآن (الفاصلة القرآنية) د.عبد الفتاح لاشين ص٧٢ – دار المريخ للنشر.

واللواحق الأخرى ،وما يدخلها من التضعيف وغيرها مما له أثر في توجيه المعنى ، وكذلك صيغ الاسم والمشتقات الأخرى ،ولهذا اهتم بها كثير من العلماء لصلتها الوثيقة بالمعنى . (١)

الدلالة التركيبية :

"تؤثر أنماط التركيب النحوي في أداء المعنى ،فترتيب الكلمات والعبارات محكوم بقواعد ،ونظم تختلف من لغة لأخرى ،ففي العربية طرائق خاصة لتركيب الجمل ،وفيها المواقع الإعرابية المتعددة للألفاظ ولا سيما الأسماء التي تقع فاعلة ،ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها وتكثر أغراض المتكلمين بها ." (٢) وكل ذلك له تأثير على المعنى.

ووردت وصايا لقمان في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي

(١) ينظر: علم الدلالة اللغوية، د. عبد الغفار حامد هلال:ص٢٥.
(٢) ينظر: السابق:ص٢٦.

الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾.

أولاً: سياق الآية الأولى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)﴾.

١- الدلالة الصوتية في الآية:

-**أتى: الإتيان:** قال فيه ابن فارس" (أتو) الهمزة والتاء والواو والألف والياء يدل على مجيء الشيء وإصحابه وطاعته... والإيتاء الإعطاء"[١]

وورد" والإيتاءُ: الإعْطاء. آتَى يُؤَاتِي إِيتَاءً وآتاهُ إِيتاءً أَي أَعطاه. وَيُقَالُ: لِفُلَانٍ أَتْوٌ أَي عَطاء. وآتَاه الشَّيْءَ أَي أَعطاه إِيَّاه"[٢] وقيل: الاتيان للأشياء المعنوية والعطاء للأشياء المحسوسة .

والسياق الصوتي في كلمة (أتى) يتفق ويحاكي المعنى المراد من الكلمة:

فتتكون الكلمة من صوت الهمزة الذي يتصف بصفات الشدة، فهي صوت حنجري شديد مجهور.[٣] وصوت التاء الذي يكون مخرجه من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ويتصف بالهمس والشدة فهو صوت انفجاري لحجز الهواء خلفه حجزاً تاماً ثم انطلاقه بقوة تشبه الانفجار ،ويكون مستفل، منفتح، مصمت، وعند النطق بالياء يرتفع مقدم اللسان وتنفرج الشفتان انفراجا تاما والياء مجهورة رخوة،

(١) معجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)١/٤٩تح: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(٢) معجم لسان العرب،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)١٤/١٧ أتي، دار صادر – بيروت ط٣ - ١٤١٤ هـ.
(٣)المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية ، د محمد حسن حسن جبل: ص ٧٤ ،مكتبة الأداب، ط ٤ ١٤٢٧ - هـ ٢٠٠٦ هـ.

وهي مستفلة ، أي يظل أقصى اللسان معها في وضعه المعتاد، وهي منفتحة مصمتة[١]والياء صوت رخو مستفل منفتح.

وهذه الأصوات تحاكي في صفاتها معنى الإتيان بما يتناسب مع المعنى المراد من الآية الكريمة فالإتيان يبدأ بالشدة ،ثم يمتد بالصوت الممتد المفتوح وهذا يناسب إتيان الحكمة فهو أمر به جلل وشدة. فيأتي صوت الياء بجهره ورخاوته وانفتاحه ليصور سريان ذلك الإتيان.

-**شكر**: الشكر: ورد فيه "الشين والكاف والراء أصول أربعة متباينة بعيدة القياس. فالأول: الشكر: الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه."[٢]

وورد: "الشكر، بالضم: عرفان الإحسان ونشره... والشكر على ثلاثة أضرب: شكر بالقلب، وهو تصور النعمة، وشكر باللسان، وهو الثناء على المنعم، وشكر بالجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه."[٣]

وتتكون الكلمة من (ش ك ر)، ويتكون صوت الشين بأن يرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى، والشين صوت صامت مهموس حنكي احتكاكي. [٤] وصوت الكاف يتكون بأن "يعترض الهواء الخارج من الرئتين اعتراضاً تاماً ،وذلك برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك الأعلى ،الذي يرفع هو الآخر ليمنع مرور الهواء إلى الأنف ،يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي بأن يخفض اللسان فيندفع الهواء خلال الفم محدثاً في اندفاعه صوتاً انفجارياً،...فالكاف صوت صامت مهموس حنكي انفجاري".[٥]

---

(١)السابق : ص ١٠٠.
(٢) مقاييس اللغة :٢٠٧/٣.
(٣) تاج العروس تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبوالفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) : ٢٢٤،٢٢٥/١٢ شكر.تح: مجموعة من المحققين-دار الهداية.
(٤) ينظر: علم اللغة مقدمة للقاريئ العربي: ص١٤٦،١٤٧.
(٥) السابق: ص١٣٠.

ويتكون صوت الراء" بأن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعا سريعا ومن هنا سمي بالصوت المكرر،فالراء صوت صامت مجهور لثوي مكرر [١]، وبالنظر إلى الأصوات المكونة لتلك الكلمة أرى وجود علاقة بين تلك الأصوات والمعنى الذي تدل عليه بما فيه من الشين التي تناسب تفشي الشكر وانتشاره والكاف الانفجارية التي تعلن عن الشكر والراء التي بها جهر وتكرار يدل على توالي الثناء وتكراره، فالسياق الصوتي يؤيد المعنى المراد من أن الحكمة في الحقيقة هي القيام بالشكر لا الإيصاء به لأن الحكمة قول وعمل.[٢]

٢-الدلالة الصرفية في الآية:

-**كفر**:(ومن كفر)عبر بصيغة الماضي إشارة إلى أن من وقع منه كفر ولو مرة جوزي بالإعراض عنه. [٣]

السياق النفسي للآية الكريمة من إتيان الحكمة العظيمة من العظيم الأعظم للقمان، يؤكد المعنى في الافصاح باسم الجلالة في قوله "(فإن الله) عبر بالاسم الأعظم لأنه في سياق الحكمة، والحكيم من أدام استحضار صفات الجلال والجمال فغلب خوفه رجاءه ما دام في دار الأقدار"[٤]

٣-الدلالة التركيبية:

الواو : في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ الْوَاوُ عَاطِفَةٌ قِصَّةَ لُقْمَانَ عَلَى قِصَّةِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لُقْمَان: ٦] بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا تَضَمَّنَتْ عَجِيبَ حَالِهِ فِي

(١) السابق: ص١٣٠.
(٢)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.ص١٥٠/١٥.
(٣) السابق: ١٦٠/١٥.
(٤) السابق: ١٦٠/١٥.

الضَّلَالَةِ مِنْ عِنَايَتِهِ بِلَهْوِ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَّخِذَ سَبِيلَ اللَّهِ هُزُوًا، وَبِاعْتِبَارِ كَوْنِ قِصَّةِ لُقْمَانَ مُتَضَمِّنَةً عَجِيبَ حَالِ لُقْمَانَ فِي الِاهْتِدَاءِ وَالْحِكْمَةِ، فَهُمَا حَالَانِ مُتَضَادَّانِ فَقُطِعَ النَّظَرُ عَنْ كَوْنِ قِصَّةِ النَّضْرِ سِيقَتْ مَسَاقَ الْمُقَدِّمَةِ وَالْمَدْخَلِ إِلَى الْمَقْصُودِ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَمَّا طَالَ فِي الْمُقَدِّمَةِ خَرَجَتْ عَنْ سُنَنِ الْمُقْدِمَاتِ إِلَى الْمَقْصُودَاتِ بِالذَّاتِ فَلِذَلِكَ عُطِفَتْ عَطْفَ الْقَصَصِ وَلَمْ تُفْصَلْ فَصْلَ النَّتَائِجِ عَقِبَ مُقَدِّمَاتِهَا." [1] والسياق الخارجي للآية(سياق الحال) يؤيد هذه الدلالة. لأنه لما ثبت بهذا الخلق العظيم على هذا الوجه المحكم عزته وحكمته، ثبتت ألوهيته فألزمهم وجوب توحيده في العبادة كما توحد بالخلق كما ذكر في الآيات السابقة للآية ،أتبعه الله سبحانه وتعالى ب﴿ولقد آتينا﴾ بما لنا من العظمة والحكمة ﴿لقمان﴾ وهو عبد من عبيدنا ﴿الحكمة﴾.

وكذلك السياق اللغوي يؤكد هذا المعنى وذلك بافْتِتَاحُ الْقِصَّةِ بِحَرْفَيِ التَّوْكِيدِ: لَامِ الْقَسَمِ وَ (قَدْ) لِلْإِنْبَاءِ بِأَنَّهَا خَبَرٌ عَنْ أَمْرٍ مُهِمٍّ وَاقِعٍ. [2] فأفادت (لام القسم وقد) في : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل ولقمان مفعول به أول والحكمة مفعول به ثان"[3] وبهذا يكون السياق اللغوي أكد هذا المعنى بتلك الأدوات التركيبية.

أسلوب الأمر:

أنِ اشْكُر: الأمر طلب لفعل لابد أن يتحقق، فإذا كان من الله سبحانه وتعالى فلابد من الامتثال له وطاعته، واختلف المفسرون في (أن) فورد:" يجوز أن تكون (أَنِ) في موضع نصب على إسقاط حرف الجر أي (بأن اشكر لله) ، ويجوز أن

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٤٨/٢١.
(٢) ينظرالسابق: ١٤٨/٢١.
(٣)إعراب القرآن وبيانه ،محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)٥٣٣/٧- دار الإرشاد للشئون الجامعية.حمص. سورية،(دار اليمامة.دمشق .بيروت) (دار ابن كثير.دمشق.بيروت)ط٤ ١٤١٥ هـ.

تكون مفسرة أي كانت حكمته دائرة على الشكر لله ومعانيه وجميع العبادات والمعتقدات داخلة في شكر الله تعالى. (١)

"وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ لِأَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ، فَجَعَلَهَا مَصْدَرِيَّةً، لَا تَفْسِيرِيَّةً." (٢)

وقال فخر الدين الرازي بأنها مفسرة :" لِأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَا يُقَالُ إِنَّ الْعَمَلَ مُوَافِقٌ لِلْعِلْمِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَلِمَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَهَمُّ مِنَ الْآخَرِ، فَإِنِ اشْتَغَلَ بِالْأَهَمِّ كَانَ عَمَلُهُ مُوَافِقًا لِعِلْمِهِ وَكَانَ حِكْمَةً، وَإِنْ أَهْمَلَ الْأَهَمَّ كَانَ مُخَالِفًا لِلْعِلْمِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي شَيْءٍ، لَكِنَّ شُكْرَ اللَّهِ أَهَمُّ الْأَشْيَاءِ فَالْحِكْمَةُ أَوَّلُ مَا تَقْتَضِي." (٣)

أرى والله أعلم أن الأمر هنا فيه تلطف وتحبب بدليل تكرار كلمة الشكر وذلك لأن الحوار للقمان الحكيم المطيع لأوامر الله فالسياق اللغوي وسياق حال الآية يؤيد كون (أن)" في {أَنِ اشكر للَّهِ} مفسرة والمعنى أن الله فسر إيتاء الحكمة بقوله :أن اشكر لله أي قلنا له اشكر وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيماً حتى يكون حكيماً فى قوله وفعل ومعاشرته وصحبه"(٤) أي أن الحكمة ليست في القول فقط بل في العمل على طاعة الله والشكر له. وعبر بفعل الأمر إعلاماً بأن شكره كان لامتثال الأمر ليكون أعلى .(٥)

(١) ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي: ١٤٨/٢١.و إعراب القرآن وبيانه ،محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ٥٣٣/٧.
(٢)البحر المحيط،لأبي حيان الأندلسي: ٤١٣/٨.
(٣)مفاتيح الغيب: ١١٩/٢٥.
(٤)تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)،أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ) :٧١٣،٧١٤/٢ تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو-دار الكلم الطيب، بيروت .ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.والكشاف، للزمخشري:٤٩٤/٣.
(٥)نظم الدرر، البقاعي ١٥٠/١٥.

أسلوب الشرط:

والسياق اللغوي من أسلوب الشرط يؤيد المعنى المراد في الآية الكريمة وفي هذا يوضح ابن عاشور تأثير استخدام أسلوب الشرط على المعنى فيقول: " وَكَانَ أَوَّلُ مَا لُقِّنَهُ لُقْمَانُ مِنَ الْحِكْمَةِ هُوَ الْحِكْمَةُ فِي نَفْسِهِ بِأَنْ أَمْرَهُ اللَّهُ بِشُكْرِهِ عَلَى مَا هُوَ مَحْفُوفٌ بِهِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي مِنْهَا نِعْمَةُ الِاصْطِفَاءِ لِإِعْطَائِهِ الْحِكْمَةَ وَإِعْدَادِهِ لِذَلِكَ بِقَابِلِيَّتِهِ لَهَا. وَهَذَا رَأْسُ الْحِكْمَةِ لِتَضَمُّنِهِ النَّظَرَ فِي دَلَائِلِ نَفْسِهِ وَحَقِيقَتِهِ قَبْلَ النَّظَرِ فِي حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَقَبْلَ التَّصَدِّي لِإِرْشَادِ غَيْرِهِ،.... وَأَيْضًا فَإِنَّ شُكْرَ اللَّهِ مِنَ الْحِكْمَةِ، إِذِ الْحِكْمَةُ تَدْعُو إِلَى مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ لِقَصْدِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى الْعِلْمِ،.... فَلِذَلِكَ كَانَ رَأْسَ الْحِكْمَةِ لِأَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ تَقْدِيمَ الْعِلْمِ بِالْأَنْفَعِ عَلَى الْعِلْمِ بِمَا هُوَ دُونَهُ فَالشُّكْرُ هُوَ مَبْدَأُ الْكَمَالَاتِ عِلْمًا، وَغَايَتُهَا عَمَلًا.

وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَعْقَبَ اللَّهُ الشُّكْرَ الْمَأْمُورَ بِهِ بِبَيَانِ أَنَّ فَائِدَتَهُ لِنَفْسِ الشَّاكِرِ لَا لِلْمَشْكُورِ بِقَوْلِهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ لِأَنَّ آثَارَ شُكْرِ اللَّهِ كَمَالَاتٌ حَاصِلَةٌ لِلشَّاكِرِ وَلَا تَنْفَعُ الْمَشْكُورَ شَيْئًا لِغِنَاهُ سُبْحَانَهُ عَنْ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ، وَلِذَلِكَ جِيءَ بِهِ فِي صُورَةِ الشَّرْطِ لِتَحْقِيقِ التَّعَلُّقِ بَيْنَ مَضْمُونِ الشَّرْطِ وَمَضْمُونِ الْجَزَاءِ، فَإِنَّ الشَّرْطَ أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْإِخْبَارِ. وَجِيءَ بِصِيغَةِ حَصْرِ نَفْعِ الشُّكْرِ فِي الثُّبُوتِ لِلشَّاكِرِ بِقَوْلِهِ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ أَيْ مَا يَشْكُرُ إِلَّا لِفَائِدَةِ نَفْسِهِ، وَلَامُ التَّعْلِيلِ مُؤْذِنَةٌ بِالْفَائِدَةِ. وَزِيدَ ذَلِكَ تَبَيُّنًا بِعَطْفِ ضِدِّهِ بِقَوْلِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ لِإِفَادَةِ أَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنِ الشُّكْرِ بَعْدَ اسْتِشْعَارِهِ كُفْرٌ لِلنِّعْمَةِ وَأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِهِ".(١)

والتوجيه الإعرابي لأسلوب الشرط هو: "ومن الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويشكر فعل الشرط والفاء رابطة وانما كافة ومكفوفة

(١)التحرير والتنوير ١٥٢/٢١.

والجملة في محل جزم جواب الشرط ومن كفر عطف على ومن يشكر داخلة في حيزها والجملة خبر من." (١)

وانتهت فاصلة الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾أي غني عن الشكر وغيره ،وحميد : أي له جميع المحامد وإن كفره جميع الخلق ،وقال البقاعي :" فإن تقدير الكفر عليهم بحيث لا يقدرون على الانفكاك عنه من جملة محامده بالقدرة والعزة والفهم والعظمة. ويجوز – وهو أقرب – أن يعود «غني» إلى الكافر و «حميد» إلى الشاكر، فيكون اسم فاعل، فيكون التقدير: ومن كفر فإنما يكفر على نفسه، ثم سبب عن الجملتين وهما كون عمل كل من الشاكر والكافر لا يتعداه" (٢)

والسياق اللغوي للآية الكريمة من ذكر لفظ الجلالة والتأكيد بإن في (فإن الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ) يؤيد المعنى المراد من " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّ بِالشُّكْرِ لَا يَنْتَفِعُ إِلَّا الشَّاكِرُ بِقَوْلِهِ: وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَبَيَّنَ أَنَّ بِالْكُفْرَانِ لَا يَتَضَرَّرُ غَيْرُ الْكَافِرِ بِقَوْلِهِ: وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ أَيِ اللَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى شُكْرٍ حَتَّى يَتَضَرَّرَ بِكُفْرَانِ الْكَافِرِ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَحْمُودٌ سَوَاءٌ شَكَرَهُ النَّاسُ أَوْ لَمْ يَشْكُرُوهُ"(٣)

وما أتى من السياق الخارجي (سياق الحال) في الآية التي بعد هذه الآية الكريمة يؤيد أن الشكر للنفس وفي هذا قال البقاعي " ما يدل على شكره في نفسه وأمره به لغيره فإنه لا شكر يعدل البراءة من الشرك".(٤)

وورد في كتب التفسير من أوجه الإعجاز اللغوي دلالة استخدام صيغة الشكر للمستقبل في أسلوب الشرط حيث قال الرازي :"وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ وَلَطَائِفُ الْأُولَى:

(١) إعراب القرآن وبيانه ،محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ٥٣٣/٧.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ص١٦٠/١٥.
(٣)مفاتيح الغيب،للرازي : ١١٩/٢٥.و تفسير النفسي:٧١٣،٧١٤/٢.و تفسير الطبري ١٣٦/٢٠.وأنوار التنزيل ،للبيضاوي :٢١٤/٤.
(٤)نظم الدرر: ١٦١/١٥.

فَسَّرَ اللَّهُ إِيتَاءَ الْحِكْمَةِ بِالْأَمْرِ بِالشُّكْرِ، لَكِنَّ الْكَافِرَ وَالْجَاهِلَ مَأْمُورَانِ بِالشُّكْرِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ وَالْجَوَابُ: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ أَمْرُ تَكْوِينٍ مَعْنَاهُ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ بِأَنْ جَعَلْنَاهُ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَفِي الْكَافِرِ الْأَمْرُ بِالشُّكْرِ أَمْرُ تَكْلِيفٍ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ فِي الشُّكْرِ وَمَنْ يَشْكُرْ بِصِيغَةِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَفِي الْكُفْرَانِ: وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ، وَإِنْ كَانَ الشَّرْطُ يَجْعَلُ الْمَاضِيَ وَالْمُسْتَقْبَلَ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: مَنْ دَخَلَ دَارِي فَهُوَ حُرٌّ، وَمَنْ يَدْخُلْ دَارِي فَهُوَ حُرٌّ، فَنَقُولُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنًى وَإِرْشَادٌ إِلَى أَمْرٍ، وَهُوَ أَنَّ الشُّكْرَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي كُلِّ وَقْتٍ لِتَكَرُّرِ النِّعْمَةِ، فَمَنْ شَكَرَ يَنْبَغِي أَنْ يُكَرِّرَ، وَالْكُفْرُ يَنْبَغِي أَنْ يَنْقَطِعَ فَمَنْ كَفَرَ يَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَ الْكُفْرَانَ، وَلِأَنَّ الشُّكْرَ مِنَ الشَّاكِرِ لَا يَقَعُ بِكَمَالِهِ، بَلْ أَبَدًا يَكُونُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْعَدَمِ يُرِيدُ الشَّاكِرُ إِدْخَالَهُ فِي الْوُجُودِ، كَمَا قَالَ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النَّمْلِ: ١٩] وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها ﴾ [النمل: ١٨] فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِصِيغَةِ الْمُسْتَقْبَلِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الشُّكْرَ بِكَمَالِهِ لَمْ يُوجَدْ وَأَمَّا الْكُفْرَانُ فَكُلُّ جُزْءٍ يَقَعُ مِنْهُ تَامٌّ، فَقَالَ بِصِيغَةِ الْمَاضِي.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ تَعَالَى هُنَا: وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ بِتَقْدِيمِ الشُّكْرِ عَلَى الْكُفْرَانِ، وَقَالَ فِي سُورَةِ الرُّومِ: مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ [الروم: ٤٤] فَنَقُولُ هُنَاكَ كَانَ الذِّكْرُ لِلتَّرْهِيبِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ قَبْلُ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الرُّومِ: ٤٣] وَهَاهُنَا الذِّكْرُ لِلتَّرْغِيبِ، لِأَنَّ وَعْظَ الْأَبِ لِلِابْنِ يَكُونُ بِطَرِيقِ اللُّطْفِ وَالْوَعْدِ.)[1]

(١) مفاتيح الغيب ، للرازي ١١٩/٢٥.

٤-من التعابير الاصطلاحية التي وردت في الآية الكريمة :

(الحكمة):

"الْحِكْمَة: هِيَ الْعدْل وَالْعلم وَالْحكم والنبوة وَالْقُرْآن وَالْإِنْجِيل: وَوضع الشَّيْء فِي مَوْضِعه، وصواب الْأَمر وسداده وأفعال الله كَذَلِك، لِأَنَّهُ يتَصَرَّف بِمُقْتَضى الْملك فيفعل مَا يَشَاء، وَافق غَرَض الْعباد أم لَا وَفِي عرف الْعلمَاء: هِيَ اسْتِعْمَال النَّفس الإنسانية باقتباس الْعُلُوم النظرية واكتساب الملكة التَّامَّة على الْأَفْعَال الفاضلة قدر طاقتها." (١)

وقول الله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أي الفقه والفهم في الدين والعقل والإصابة في القول والعمل.(٢)

والْحِكْمَةَ: هي الْمَنْطِقُ الَّذِي يَتَّعِظُ بِهِ وَيَتَنَبَّهُ بِهِ، وَيَتَنَاقَلُهُ النَّاسُ فأراد سُبْحَانَهُ وتعالى أن يؤكد عَلَى أَنَّ الْحِكْمَةَ الْأَصْلِيَّةَ وَالْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ الْعَمَلُ بِهِمَا، في عِبَادَةُ اللَّهِ وَالشُّكْرُ لَهُ. (٣)

وذكر الرازي أوجه تفسير الحكمة :"أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْعِلْمَ بِالْحِكْمَةِ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى عَظَّمَ أَمْرَ الْحِكْمَةِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الْعِلْمِ، بَيَانُ أَنَّهُ تَعَالَى سَمَّى الْعِلْمَ بِالْحِكْمَةِ مَا يُرْوَى عَنْ مُقَاتِلٍ: أَنَّهُ قَالَ: تَفْسِيرُ الْحِكْمَةِ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ قَالَ فِي الْبَقَرَةِ: وَما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَالْحِكْمَةِ [الْبَقَرَةِ: ٢٣١] يَعْنِي مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ، وَفِي النِّسَاءِ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[النِّسَاءِ: ١١٣] يَعْنِي الْمَوَاعِظَ ، وَمِثْلُهَا فِي آلِ عِمْرَانَ.

(١)الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) ص٣٨٢ تح: عدنان درويش - محمد المصري- مؤسسة الرسالة– بيروت.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٣٤/٢٠.

(٣) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ٤١٣/٨.

وَثَانِيهَا: الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ١٢] وَفِي لُقْمَانَ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ﴾[لُقْمَانَ: ١٢] يَعْنِي الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ، وَفِي الْأَنْعَامِ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

وَثَالِثُهَا: الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى النُّبُوَّةِ فِي [النِّسَاءِ: ٥٤] ﴿فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني النبوة،

وَفِي [الْبَقَرَةِ: ٢٥١] ﴿وَآتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

وَرَابِعُهَا: الْقُرْآنُ فِي النَّحْلِ ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ [النَّحْلِ: ١٢٥] ،وَفِي الْبَقَرَةِ: وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً [الْبَقَرَةِ: ٢٦٩] . وَجَمِيعُ هَذِهِ الْوُجُوهِ عِنْدَ التَّحْقِيقِ تَرْجِعُ إِلَى الْعِلْمِ ثُمَّ تَفَكَّرْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَعْطَى مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا الْقَلِيلَ قَالَ: وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (١)

ويؤيد تفسير (الحكمة) بالفهم والعلم السياق الخارجي للآية (سياق الحال):

ذلك لأن الله سبحانه وتعالى –في الآيات السابقة–لَمَّا بَيَّنَ فَسَادَ اعْتِقَادِهِمْ بِسَبَبِ عِنَادِهِمْ بِإِشْرَاكِ مَنْ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا بِمَنْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَوْلِهِ: هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَبَيَّنَ أَنَّ الْمُشْرِكَ ظَالِمٌ ضَالٌّ، ذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ضَلَالَهُمْ وَظُلْمَهُمْ بِمُقْتَضَى الْحِكْمَةِ، فقال: وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ . وَمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيّ ﷺ مُدْرَكٌ بِالْحِكْمَةِ وَذَكَرَ حِكَايَةَ لُقْمَانَ وَأَنَّهُ أَدْرَكَهُ بِالْحِكْمَةِ وَقَوْلُهُ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ﴾ عِبَارَةٌ عَنْ تَوْفِيقِ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ، فَكُلُّ مَنْ أُوتِيَ تَوْفِيقَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ فَقَدْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ، وَإِنْ أَرَدْنَا تَحْدِيدَهَا بِمَا يَدْخُلُ فِيهِ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

وهنا إشارة إلى أَنَّ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ لَازِمٌ فِيمَا لَا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ إِظْهَارًا لِلتَّعَبُّدِ فَكَيْفَ مَا لَا يَخْتَصُّ بِالنُّبُوَّةِ، بَلْ يُدْرَكُ بِالْعَقْلِ مَعْنَاهُ.(٢)

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ،فخر الدين الرازي :٣٩٩/٢، ٤٠٠.
(٢) ينظر: السابق :١١٨/٢٥.

ووردت معاني أخرى في الحكمة منها:" الْحِكْمَةَ: الإصابة في العقل والعقد والنطق. ويقال (الْحِكْمَةَ) متابعة الطريق من حيث توفيق الحق لا من حيث همة النفس. ويقال (الْحِكْمَةَ)ألا تكون تحت سلطان الهوى. ويقال (الْحِكْمَةَ) الكون بحكم من له الحكم. ويقال (الْحِكْمَةَ) معرفة قدر نفسك حتى لا تمدّ رجليك خارجا عن كسائك. ويقال (الْحِكْمَةَ) ألا تستعصى على من تعلم أنك لا تقاومه." [١]

ثانياً: سياق الآية الثانية: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾.

١-الدلالة الصرفية : صيغة التصغير في قوله تعالى (يَابُنَيَّ):هذا السياق اللغوي الصرفي المتمثل في تلك الصيغة يؤيد معنى الآية من الحوار المشتمل على النصح والإرشاد والتحبب بين الأب والابن ، وجاء في كتب التفسير :" يا بُنَيَّ تصغير إشفاق".[٢]

وفي هذا قال البقاعي: {يا بني} فخاطبه بأحب ما يخاطب به، مع إظهار الترحم والتحنن والشفقة، ليكون ذلك أدعى لقبول النصح {لا تشرك} أي لا توقع الشرك لا جليا ولا خفياً، ولما كان في تصغيره الإشفاق عليه، زاد ذلك بإبراز الاسم الأعظم الموجب لاستحضار جميع الجلال، تحقيقاً لمزيد الإشفاق. فقال: {بالله} أي الملك الأعظم الذي لا كفوء له".[٣]

٢-الدلالة التركيبية:

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)١٣٠/٣ تح: إبراهيم البسيوني- الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ط٣.
(٢) ينظر: معالم التنزيل ،للبغوي ٥٨٨/٣. وأنوار التنزيل ، للبيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت ٦٨٥هـ):٢١٤/٤ تح:محمد عبد الرحمن المرعشلي.دار إحياء التراث العربي بيروتط١-١٤١٨ه.والبحر المحيط ٤١٣/٨.
(٣) نظم الدرر:١٦٠/١٥.

إذ: في "(وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ) الظرف متعلق بمحذوف أي اذكر وجملة قال لقمان في محل جر بإضافة الظرف إليها ولابنه متعلقان بقال والواو واو الحال ،وهو مبتدأ وجملة يعظه خبر والجملة حالية"[١]،"ويحتمل أن يكون التقدير (وآتيناه الحكمة إذ قال) واختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه" .[٢]

والسياق اللغوي من استخدام الظرفية ،والسياق الخارجي للآية (سياق حال) مع ما قبلها يؤيد التفسير الأول، حيث أن التقدير (اذكر ما وصفنا به لقمان): وفي هذا قال البقاعي : "أول آية ولما كان الإنسان لا يعرف حكمة الحكيم إلا بأقواله وأفعاله، ولا صدق الكلام وحكمته إلا بمطابقته للواقع، فكان التقدير: اذكر ما وصفنا به لقمان لتنزل عليه ما تسمع من أحواله وأفعاله في توفية حق الله وحق الخلق الذي هو مدار الحكمة أي واذكر بقلبك لتتعظ وبلسانك لتعظ غيرك بما أنك رسول – ما كان حين {قال لقمان لابنه}".[٣]

وجملة (وهو يعظه) ورد فيها أن السياق اللغوي لها يؤكد على تأكيد المعنى في النصح والإرشاد والوصية بمكارم الأخلاق فذكر الطبري :"وفيه حث على التخلق بما مدح به لقمان بما يحمل على الصبر والشكر والمداومة على كل خير، وعلى تأديب الولد، بسوق الكلام على وجه يدل على تكرير وعظه فقال: {وهو يعظه} أي يوصيه بما ينفعه ويرقق قلبه ويهذب نفسه، ويوجب له الخشية والعدل.

ولما كان أصل توفية حق الحق تصحيح الاعتقاد وإصلاح العمل، وكان الأول أهم، قدمه". [٤]

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش ٥٣٣/٧ .
(٢) ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي: ١٤٨/٢١.
(٣) نظم الدرر: البقاعي ١٦٠/١٥، ١٦١.
(٤)تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) ١٦١/١٥ تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي،بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة-دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان-ط١ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

أسلوب نهي:

لا تُشْرِكْ: ورد في إعرابها "الجملة مقول القول ولا ناهية وتشرك فعل مضارع مجزوم بلا وبالله متعلقان بتشرك، وجملة إن الشرك تعليل للنهي لا محل لها وإن واسمها واللام المزحلقة وظلم خبرها وعظيم صفة."(١)

وقد ورد في كتب التفسير"قِيلَ: كَانَ ابْنُهُ وَامْرَأَتُهُ كَافِرَيْنِ، فَمَا زَالَ يَعِظُهُمَا حَتَّى أَسْلَمَا. وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ مِنْ كَلَامِ لُقْمَانَ. وَقِيلَ: هُوَ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ، مُنْقَطِعٌ عَنْ كَلَامِ لُقْمَانَ، مُتَّصِلٌ بِهِ فِي تَأْكِيدِ الْمَعْنَى."(٢) وهو ظلم عظيم "لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا وهي منه ومن لا نعمة له أصلاً" (٣) "وَأَيُّ ظُلْمٍ أَعْظَمُ مِنِ اتِّخَاذِ إِلَهٍ غَيْرِهِ ... وَنَصَّ عَلَى أَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، لِأَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، فَإِذَا ظَلَمَهَا، كَانَ ذَلِكَ أَفْحَشَ مِنْ أَنْ يَظْلِمَ غَيْرَهُ." (٤)، ثم علل هذا النهي بقوله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾فهو ضد الحكمة، لأنه وضع الشيء في غير محله والتسوية بين المالك والمملوك . (٥)

إذن ظاهر هذا القول أنه من كلام لقمان، ولكن السياق الخارجي مما ذكر في صحيح مسلم من حديث صحيح يؤيد المعنى المحتمل وهو أن يكون خبرا من الله تعالى منقطعا من كلام لقمان متصلا به في تأكيد المعنى، حيث ورد "ويؤيد هذا الحديث المأثور أنه لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ [الأنعام: ٨٢] إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ

(١)إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش ٥٣٤/٧.
(٢)البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ٤١٣/٨ تح صدقي محمد جميل- دار الفكر – بيروت١٤٢٠ هـ..
(٣) ينظر: تفسير النفسي:٧١٤/٢.
(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي :٣٣٣/١.
(٥) نظم الدرر:١٦٠/١٥.

لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣][١]. قال الفقيه الإمام القاضي: وإنما يسكن إشفاقهم بأن يكون ذلك خبرا من الله تعالى، وقد يسكن الإشفاق بأن يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد.) [٢]

واختلفت الفاصلة هنا في نهاية الآية عن فاصلة الآية السابقة عنها في الوزن والروي.

ثالثاً: سياق الآية الثالثة: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)﴾

١-الدلالة الصوتية :

-**وَهْنٍ:** جاء في مقاييس اللغة: "وهن :الواو والهاء والنون: كلمتان تدل إحداهما على ضعف، والأخرى على زمان. فالأولى: وهن الشيء يهن وهناً: ضعف" [٣]

وجاء في تاج العروس: " الوَهْن: الضعف في العمل والأمر، وكذلك في العظم ونحوه؛ وقوله تعالى: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) أي ضعفاً على ضعف، أي لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة؛ وقيل: جهداً على جهد." [٤]

وذكر المفسرون:"وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: شِدَّةً بَعْدَ شِدَّةٍ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ. وقال مُجَاهِدٌ: مَشَقَّةً عَلَى مَشَقَّةٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَرْأَةُ إِذَا حَمَلَتْ تَوَالَى عَلَيْهَا الضَّعْفُ وَالْمَشَقَّةُ. وَيُقَالُ: الْحَمْلُ ضَعْفٌ، وَالطَّلْقُ ضَعْفٌ وَالْوَضْعُ ضَعْفٌ"[٥]

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه، ك/ الإيمان ، ب/ صدق الإيمان وإخلاصه، حديث ١٢٤ (١١٤/١) تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
(٢) ينظر: المحرر الوجيز بن عطية الأندلسي :٣٤٧/٤. .
(٣) مقاييس اللغة لابن فارس :١٤٩/٦.
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ٢٦٧/٣٦ وهن-مجموعة من المحققين-دار الهداية.
(٥)معالم التنزيل ، للبغوي ٥٨٨/٣. وأنوار التنزيل، للبيضاوي :٢١٤/٤.

"وَقِيلَ: وَهْناً عَلى وَهْنٍ: نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً، إِلَى آخِرِ النَّشْأَةِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمَنْصُوبِ فِي حَمَلَتْهُ، وَهُوَ الْوَلَدُ. وَقَرَأَ عِيسَى الثَّقَفِيُّ، وَأَبُو عَمْرٍو فِي رِوَايَةٍ: وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ، بِفَتْحِ الْهَاءِ فِيهِمَا، فَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ كَالشَّعْرِ وَالشَّعَرِ، وَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرَ وَهِنَ بِكَسْرِ الْهَاءِ يَوْهَنُ وَهَنًا، بِفَتْحِهَا فِي الْمَصْدَرِ قِيَاسًا. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: بسكون الهاء فيهما."(١)

وتتكون الكلمة من أصوات (و ه ن)، فعند النطق بالواو "يندفع الهواء من الرئتين حتى يمر بين الوترين الصوتيين زامرا لتضايق ممره بينهما، فإذا وصل إلى اللسان ارتفع أقصاه واستدارت الشفتان مع ذلك، فمر الهواء بصوت الواو. فالواو صوت مجهور رخو منفتح مصمت.(٢)

وعند نطق الهاء يمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثا صوتا احتكاكيا، ويرفع الحنك اللين ولا يتذبذب الوتران الصوتيان . فالهاء العربي صامت مهموس حنجري احتكاكي(٣)، وصوت النون يوقف الهواء معه في الفم وقفا تاما بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا، ويخفض الحنك اللين وبهذا يتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من أن ينفذ عن طريق الأنف ،وهو صوت صامت مجهور أغن.(٤)

والسياق الصوتي يؤيد معنى الضعف الذي في الوهن حيث يتبين من خلال صفات تلك الأصوات أنها أصوات تتصف بصفات ضعف أكثر من صفات القوة بها، فالواو صوت رخو منفتح مصمت ، والهاء مهموسة ورخوة مهتوتة ، والنون صوت صامت متوسط فهذه الصفات الضعيفة التي تتميز بها تلك الأصوات تتناسب

(١)البحر المحيط :٨/٤١٤،٤١٣.
(٢)المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية ، د محمد حسن حسن جبل: ص ١٣٨.
(٣) علم اللغة مقدمة للقاريء العربي :ص١٤٨.
(٤)السابق:ص١٤١.

والمعنى الذي دلت عليه الكلمة في الآية الكريمة،فصوت الواو بمخرجه من الشفتين وبجهره يصور بداية حدوث الضعف في الأم ، ثم يأتي صوت الهاء وهو صوت حنجري ليصور وضوح ذلك الضعف وزيادته، ثم النون بغنتها وصمتها تناسب الهدوء الذي في الضعف. والله تعالى أعلم.

-**فصاله:**﴿ وَفِصالُهُ﴾ أَيْ فِطَامُهُ، فِي عامَيْنِ"[1]

وردفي المقاييس :(فصل: الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه. يقال: فصلت الشيء فصلا...

والفصيل: ولد الناقة إذا افتصل عن أمه.) [2]

وجاء في لسان العرب: (وفَطَمَ الصبيَّ يَفْطِمه فَطْماً، فَهُوَ فَطِيمٌ: فصَلَه مِنَ الرَّضَاعِ. وَغُلَامٌ فَطِيم ومَفْطُوم وفطَمَتْه أُمه تَفْطِمه: فصَلته عَنْ رَضَاعِهَا.) [3]

وذكر المفسرون: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] الفصال الفطام، وهو أن يفصل الولد عن الأم كي لا يرضع، وهو ابتداء وخبره في الظرف على تقدير وفصاله يقع في عامين، أن في انقضاء عامين، والمعنى: ذكر مشقة الوالدة بإرضاع الولد بعد الوضع عامين". [4]

"وقرأوا: وَفِصالُهُ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ، وَأَبُو رَجَاءٍ، وَقَتَادَةُ، وَالْجَحْدَرِيُّ، وَيَعْقُوبُ: وَفَصْلَهُ، وَمَعْنَاهُ الْفِطَامُ، أَيْ فِي تَمَامِ عَامَيْنِ، عَبَّرَ عَنْهُ بِنِهَايَتِهِ، وَأَجْمَعُوا عَلَى اعْتِبَارِ الْعَامَيْنِ

(١)معام التنزيل ، للبغوي ٥٨٨/٣.وأنوار التنزيل ، للبيضاوي :٢١٤/٤.
(٢)مقاييس اللغة٥٠٥/٤ .
(٣)لسان العرب٤٥٤/١٢ فطم.
(٤)الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)٤٤٣/٣تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس. قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي. دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ط١- ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤م.

فِي مُدَّةِ الرِّضَاعِ فِي بَابِ الْأَحْكَامِ وَالنَّفَقَاتِ، وَأَمَّا فِي تَحْرِيمِ اللَّبَنِ فِي الرِّضَاعِ فَخِلَافٌ مذكور في الفقه." [١]

وأصوات الكلمة :الفاء صوت مهموس شفوي سني احتكاكي[٢]، والصاد صوت مطبق صامت مهموس لثوي احتكاكي.[٣] واللام صوت صامت مجهور سني منحرف(جانبي).[٤]

وبالنظر إلى الأصوات المكونة لتلك الكلمة أرى وجود علاقة بين تلك الأصوات والمعنى الذي تدل عليه فهي تتكون من أصوات(الفاء والصاد واللام) وكأن الفصل في الرضاع عن الأم يبدأ بالتدرج باللين فعبر عنه بهمس الفاء والصاد ثم يشتد بالانقطاع تماما عن أمه فعبر عنه بجهر اللام .والله تعالى أعلم.

٢-الدلالة التركيبية:

قوله تعالى :﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ﴾هو كلام معترض على سبيل الاستطراد في أثناء وصية لقمان مؤكد لما اشتملت عليه من النهي عن الشرك. [٥]"وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصاً ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام لمن قال مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» [٦]."[٧]

---

(١)البحر المحيط :٤١٤/٨.
(٢) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي:ص١٤٤.
(٣)ينظر: السابق:ص١٤٦.
(٤)ينظر: السابق:ص١٤١.
(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ،محي الدين درويش :٥٣٧/٧.وأنوار التنزيل، للبيضاوي: ٢١٤/٤.و إعراب القرآن وبيانه ،محي الدين درويش:٥٣٧/٧.
(٦)أخرجه مسلم في صحيحه، ك/البر والصلة ، ب/ بر الوالدين وأنهما أحق، حديث ٢٥٤٨ (١٩٧٤/٤).
(٧) ينظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي: ٢١٤/٤

أَنِ اشْكُرْ: (ولما ذكر الوصية وأشار إلى أمهات أسبابها، ذكر الموصى به فقال مفسراً ل «وصينا» : {أن اشكر} ولما كان الشكر منظوراً إليه أتم نظر، قصر فعله، أي أوجد هذه الحقيقة ولتكن من همك. ولما كان لا بد له من متعلق، كان كأنه قال: لمن؟ فقال مقدماً ما هو أساس الموصى به في الوالدين ليكون معتداً به، لافتاً القول إلى ضمير الواحد من غير تعظيم) [١]

" وَقَالَ النَّحَّاسُ: الْأَجْوَدُ أَنْ تَكُونَ مُفَسِّرَةً. لِي: أَيْ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ. وَلِوالِدَيْكَ: عَلَى نِعْمَةِ التَّرْبِيَةِ."[٢]

فسياق الآية اللغوي من استخدام أن المفسرة و(لي) يؤيد، وينص على المعنى المراد من الوصية بالوالدين، حيث ورد:"(أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) أن مفسرة والجملة تفسير لوصّينا ،واختار الزجاج أن تكون أن على بابها أي مصدرية ومحل المصدر النصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بوصينا وليس قوله ببعيد."[٣]

كما ذكر البقاعي :"تنصيصاً على المراد: ﴿لي﴾ أي لأني المنعم بالحقيقة ﴿ولوالديك﴾ لكوني جعلتهما سبباً لوجودك والإحسان بتربيتك، وذكر الإنسان بهذا الذكر في سورة الحكمة إشارة إلى أنه أتم الموجودات حكمة"[٤]

وورد: "أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ ، وَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي ذُكِرَ أَنَّهَا تَارَةً تَتَعَدَّى بِحَرْفِ جَرٍّ، وَتَارَةً تَتَعَدَّى بِنَفْسِهَا، ...وَلِذَلِكَ فَسَّرَ الزَّمَخْشَرِيُّ هَذَا الْمَوْضِعَ بِقَوْلِهِ:

(١) نظم الدرر:البقاعي١٥/١٦٤.
(٢) البحر المحيط ٨/٤١٤.
(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ،محي الدين درويش :٧/٥٣٨.
(٤) نظم الدرر:البقاعي١٥/١٦٥.

وَاشْكُرُوا لِي مَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَاشْكُرُوا لِي، وَاشْكُرُونِي بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَلِي أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ مَعَ الشُّكْرِ وَمَعْنَاهُ: نِعْمَتِي وَأَيَادِيَّ." (١)

ثم علل سبحانه وتعالى الأمر بالشكر محذراً بأن المصير إليه والحساب عليه فهو تَوَعَّدَ أَثْنَاءَ الْوَصِيَّةِ. (٢)،وورد: "﴿إليّ﴾ لا إلى غيري ﴿المصير﴾ أي فأسألك عن ذلك كما كانت منهما البداءة ظاهراً بما جعلت لهما من التسبب في ذلك، فيسألانك عن القيام بحقوقهما وإن قصرت فيها شكواك إلى الناس وأقاما عليك الحجة وأخذا بحقهما."(٣)

٣-التعابيرالاصطلاحية:

ورد في الآية الكريمة كلمة (عام) وهي تمثل السياق اللغوي من تأكيد مشقة الحمل والفصال وفي هذا قال البقاعي :" وفي التعبير بالعام أيضاً إشارة إلى تعظيم منتهاه بكونها تعد أيام رضاعه – مع كونها أضعف ما يكون في تربيته – أيام سعة وسرور، والتعبير ب «في» مشيراً إلى أن الوالدين لهما أن يفطماه قبل تمامهما على حسب ما يحتمله حاله، وتدعو إليه المصلحة من أمره." (٤)

رابعاً: سياق الآية الرابعة : ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)﴾

١-الدلالة الصرفية:

جَاهَدَاكَ: أفاد السياق اللغوي هنا المتمثل في الصيغة الصرفية(فاعل)على المبالغة في عمل الوالدين، وفي هذا ورد: "ولما ذكر سبحانه وصيته بهما وأكد

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي :٥٠/٢.
(٢) السابق: ٤١٤/٨.
(٣) نظم الدرر:البقاعي١٦٥/١٥.و تفسير النسفي:٧٠٤/٢
(٤) نظم الدرر:البقاعي١٦٥/١٥.

حقهما، أتبعه الدليل على ما ذكر لقمان عليه السلام من قباحة الشرك فقال: ﴿وإن جاهداك﴾ أي مع ما أمرتك به من طاعتهما، وأشار بصيغة المفاعلة إلى مخالفتهما وإن بالغا في الحمل على ذلك ﴿على أن تشرك بي﴾ وأشار بأداة".[١]

مَعْرُوفًا:" صفة مصدر محذوف أي صحاباً معروفاً حسناً بخلق جميل وحلم واحتمال بر وصلة ."[٢]والسياق اللغوي هنا في الصيغة الصرفية حيث أتت الكلمة نكرة لتفيد كثرة المعروف وزيادته وهذا السياق تأييد لمعنى الآية.

٢-الدلالة التركيبية:

أسلوب الشرط: في "﴿ وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما﴾ الواو عاطفة وإن شرطية وجاهداك فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وعلى حرف جر وأن تشرك المصدر المؤول مجرور بعلى والجار والمجرور متعلقان بجاهداك وبي متعلقان بتشرك وما موصول مفعول به وجملة ليس صلة ولك خبر ليس المقدم وبه متعلقان بعلم وعلم اسم ليس المؤخر، فلا الفاء رابطة ولا ناهية وتطعهما فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والميم والألف حرفان دالان على التثنية وجملة فلا تطعهما في محل جزم جواب الشرط." [٣]

وورد في السياق الخارجي للآية(سياق الحال) أن المعنى " والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال: وقد وصينا بمثل ما وصى به، وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فإنهما مع أنهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز أن يستحقاه في الإشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن أبي وقاص وأمه مكثت لإسلامه ثلاثاً لم تطعم فيها

(١) السابق:١٦٥/١٥.
(٢) ينظر: تفسير النسفي:٧١٤/٢.
(٣)إعراب القرآن وبيانه ،محي الدين درويش ٥٣٩/٧.

شيئاً، ولذلك قيل من أناب إليه أبو بكر رضي الله عنه فإنه أسلم بدعوته." [١]،وَقِيلَ: الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ كافة الناس. [٢]

وإضافة لما سبق أرى أن السياق النفسي لآيات وصايا لقمان يشير إلى أن ذكرهما كان من باب التأكيد على أن صورة الوالدين قد تكون إيجابية مثل صورة حوار لقمان ووصاياه لابنه بالتوحيد والعبادة والخلق الحسن ،وقد تكون صورة سلبية على عكس الصورة الأولى فإذا كان ذلك فيجب عدم التقليد أو الطاعة لهما فيما يخالف الله. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي قوله "ما ليس لك به علم» فن عكس الظاهر أو نفي الشيء بإيجابه" [٣] أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء أي الأصنام . [٤] أي فَلا تُطِعْهُما في الشرك وإن جهدا كل الجهد لقبحه" [٥]

-أسلوب الأمر:

وورد:" ﴿وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾ الواو عاطفة وصاحبهما فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به وفي الدنيا حال ومعروفا صفة لمصدر محذوف أي صحابا معروفا واختار بعضهم أن ينصب بنزع الخافض أي بالمعروف." [٦]

﴿واتبع سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ "أي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأموراً بحسن مصاحبتهما في الدنيا ،وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه أنوار"[٧] أي سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ بالتوحيد والإخلاص في الطاعة. [٨] ، وهي

(١) ينظر: أنوار التنزيل ،للبيضاوي :٢١٤/٤.
(٢)معالم التنزيل، للبغوي٥٨٨/٣.و البحر المحيط ٤١٤/٨.
(٣)إعراب القرآن وبيانه ،محي الدين درويش ٥٣٩/٧.
(٤) ينظر: تفسير النسفي:٧١٤/٢.
(٥) ينظر: السابق:٧١٤/٢.
(٦) اعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش ٥٣٩/٧.
(٧) ينظر: تفسير النسفي:٧١٤/٢.
(٨)أنوار التنزيل، للبيضاوي :٢١٤/٤. و البحر المحيط ٤١٤/٨.

وصية لجميع العالم كأن المأمور الإنسان، وأَنابَ معناه، مال ورجع إلى الشيء، وهذه سبيل الأنبياء والصالحين. [١]

". (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ):أَيْ مَرْجِعُكَ وَمَرْجِعُهُمَا، فَأُجَازِي كُلًّا مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ" [٢]فأجازيك [٢]فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما. والسياق اللغوي من أسلوب الأمر والنهي في الآية الكريمة يؤكد هذا المعني ،وكذلك السياق النفسي كما أوضحت وسياق الحال من التأكيد على وصايا لقمان من قوله لابنه (لا تشرك).

خامساً: سياق الآية الخامسة:﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)﴾.

١-الدلالة التركيبية:

أسلوب الشرط في قوله تعالى:﴿يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ "إن شرطية وتك فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسم تك مستتر يعود الى الخطيئة ، فتكن عطف على تك واسم تكن مستتر تقديره هي أي الخطيئة والهنة وفي صخرة خبر تكن، ويأت جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة."[٣]

واختلف في الضمير في قوله تعالى: ﴿إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾ فورد أن :"الآية فن التمام أو التتميم ...والمعنى أنه تمم خفاء الهنة أو الخطيئة في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة والأخفى من الصخرة كأن تكون في صخرة مستقرة في أغوار الأرض السحيقة أو في الأعالي من أجواز الفضاء".[٤]

(١) ينظر: المحرر الوجيز بن عطية الأندلسي :٣٤٩/٤. .
(٢).ينظر: تفسير النسفي:٧١٤/٢. و أنوار التنزيل ٢١٤/٤.
(٣) إعراب القرآن وبيانه ،محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ٥٤٣/٧.
(٤) السابق: ٧ /٥٤٣.

أي أن المراد به الحسنة أو السيئة :" فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحدب السموات أو أسفله كمقعر الأرض. وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر إذا استقر في وكنته. يَأْتِ بِهَا اللَّهُ يحضرها فيحاسب عليها. إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ يصل علمه إلى كل خفي. خَبِيرٌ عالم بكنهه."(١)

وجاء أيضا :"كَانَ فِيمَا رُوِيَ قَدْ سَأَلَ لُقْمَانُ ابْنَهُ: أَرَأَيْتَ الْحَبَّةَ تَقَعُ فِي مَغَاصِ الْبَحْرِ؟ أَيَعْلَمُهَا اللَّهُ؟ فَيَكُونُ الضَّمِيرُ ضَمِيرَ جَوْهَرٍ لَا ضَمِيرَ عَرَضٍ".(٢)

والسياق الخارجي (سياق حال) الآيات يؤكد معنى الآية الكريمة من أن الضمير يعود على الحسنة أو السيئة لأنه :"لَمَّا نَهَى لُقْمَانُ ابْنَهُ عَنِ الشِّرْكِ، نَبَّهَهُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنْ مقدوره شيء فقال: يَا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي إِنَّهَا ضَمِيرُ الْقِصَّةِ(٣).

وقال ابن عطية :"وذكر كثير من المفسرين أنه أراد الأعمال المعاصي والطاعات، ويؤيد ذلك قوله يَأْتِ بِهَا اللَّهُ أي لا تفوت، وبهذا المعنى يتحصل في الموعظة ترجية وتخويف منضاف ذلك إلى تبيين قدرة الله تعالى، وفي القول الآخر ليس ترجية ولا تخويف. ومما يؤيد قول من قال هي من الجواهر قراءة عبد الكريم الجزري «فتكنّ» بكسر الكاف وشد النون من الكن الذي هو الشيء المغطى، وقرأ جمهور القراء «إن تك» بالتاء من فوق «مثقال» بالنصب على خبر «كان» واسمها مضمر تقديره مسألتك على ما روي، أو المعصية أو الطاعة على القول الثاني. ولهذا المقدر هو الضمير في إِنَّها. وقرأ نافع وحده بالتاء أيضا «مثقال» بالرفع على

(١) ينظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي :٢١٥/٤. وتفسير النسفي :٧١٥،٧١٦/٢ .
(٢) ينظر: السابق :٢١٥/٤.
(٣) ينظر: البحر المحيط : ص٨/ ٤١٥،٤١٤ .

اسم «كان» وهي التامة، وأسند إلى المثقال فعلا فيه علامة التأنيث من حيث انضاف إلى مؤنث هو منه

وقوله يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إن أراد الجواهر فالمعنى يَأْتِ بِهَا إن احتيج إلى ذلك أو كانت رزقا ونحو هذا، وإن أراد الأعمال فمعناه يَأْتِ بذكرها وحفظها فيجازي عليها بثواب أو عقاب. ولَطِيفٌ خَبِيرٌ صفتان لائقتان بإظهار غرائب القدرة". (١)

والسياق اللغوي في التدرج لتمام الخفاء في عرض لقمان لابنه في الآية الكريمة يؤيد ما ورد من أن مَعْنَى الحوار: المبالغة والانتهاء في التفهيم، أَيْ إِنَّ قُدْرَة الله تَنَالُ مَا يَكُونُ فِي تَضَاعِيفِ صَخْرَةٍ، وَمَا يَكُونُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وجاء في كتب التفسير ما يؤيد هذا، فقال أبو حيان :". وَبَدَأَ لَهُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ أَوَّلًا، وَهُوَ كَيْنُونَةُ الشَّيْءِ. فِي صَخْرَةٍ: وَهُوَ مَا صُلِبَ مِنَ الْحَجَرِ وَعَسُرَ إِخْرَاجُهُ مِنْهَا، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِالْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَهُوَ أَغْرَبُ لِلسَّامِعِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِمَا يَكُونُ مَقَرَّ الْأَشْيَاءِ لِلشَّاهِدِ، وَهُوَ الأرض. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيِّ، أَنَّ هَذِهِ الصَّخْرَةَ هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا الْأَرْضِ.

و.. قِيلَ: وَخَفَاءُ الشَّيْءِ يُعْرَفُ بِصِغَرِهِ عَادَةً، وَيُبْعِدُهُ عَنِ الرَّائِي. وَبِكَوْنِهِ فِي ظُلْمَةٍ وَبِاحْتِجَابِهِ، فَفِي صَخْرَةٍ إِشَارَةٌ إِلَى الحجاب، وفي السموات إِشَارَةٌ إِلَى الْبُعْدِ، وَفِي الْأَرْضِ إِشَارَةٌ إِلَى الظُّلْمَةِ، فَإِنَّ جَوْفَ الْأَرْضِ أَظْلَمُ الْأَمَاكِنِ. وَفِي قَوْلِهِ: يَأْتِ بِهَا اللَّهُ دَلَالَةٌ عَلَى الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: يُحِيطُ بِهَا عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ." (٢)

٢-تعابير اصطلاحية:

حبة من خردل : ورد فيها " وهذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى وهذه الغاية التي أمكنه أن يفهمه، لأن «الخردلة» يقال إن الحس لا

(١) ينظر: المحرر الوجيز بن عطية الأندلسي :٣٥٠/٤ .و البحر المحيط : ص٨/ ٤١٤،٤١٥ .و أنوار التنزيل :٢١٤/٤ .

(٢) ينظر: البحر المحيط : ص٨/ ٤١٤،٤١٥ .

يقدر لها ثقلا إذ لا ترجح ميزانا، وقد نطقت هذه الآية بأن الله تعالى قد أحاط بها علما. وقوله مِثْقَالَ حَبَّةٍ عبارة تصلح للجواهر، أي قدر حبة، وتصلح للأعمال أي ما تزنه على جهة المماثلة قدر حبة، وظاهر الآية أنه أراد شيئا من الأشياء خفيا قدر حبة، ويؤيد ذلك ما روي من أن ابن لقمان سأل أباه عن الحبة تقع في مقل البحر يعلمها الله، فراجعه لقمان بهذه الآية." (١)

سادساً: سياق الآية السادسة: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)﴾.

١- الدلالة التركيبية:

تكرر أسلوب النداء في آيات الوصايا ثلاث مرات للتلهيف والترغيب في النصح والإرشاد فكان أسلوب من أساليب الاقناع التي تثير انفعالات نفسية لدى المخاطب وهذه الدلالة المرادة أكدها السياق اللغوي من تكرار النداء في الآيات، كما أكد التصغير كدلالة صرفية على الإشفاق والتحبب والود في الخطاب .

وأشار فخر الدين الرازي لهذا بقوله :"نَقُولُ فِي إِعَادَةِ النِّدَاءِ فَوَائِدُ خَمْسَةٌ:

مِنْهَا :أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ بَيَانُ زِيَادَةِ الشَّفَقَةِ عَلَى الْمُسْتَرْشِدِ كَمَا فِي قَوْلِ لقمان لابنه﴿ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣]﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٦] ،﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ [لُقْمَانَ: ١٧] لِأَنَّ النِّدَاءَ لِتَنْبِيهِ الْمُنَادَى لِيُقْبِلَ عَلَى اسْتِمَاعِ الْكَلَامِ وَيَجْعَلَ بَالَهُ مِنْهُ، فَإِعَادَتُهُ تُفِيدُ ذَلِكَ. وَمِنْهَا أَنْ لَا يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّ الْمُخَاطَبَ ثَانِيًا غَيْرُ الْمُخَاطَبِ أَوَّلًا،...وَمِنْهَا أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْكَلَامَيْنِ مَقْصُودٌ، وَلَيْسَ الثَّانِي تَأْكِيدًا لِلْأَوَّلِ ".(٢)

(١) ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي :٣٥٠/٤ .
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي :٩٣/٢٨ .

وذكر أيضا أنه استأنف النداء لأن :"قول لقمان﴿يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ﴾ [لقمان: ١٣] وقوله ﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ [لُقْمَانَ: ١٧] لِكَوْنِ الْأَوَّلِ مِنْ عَمَلِ القلب والثاني من عمل الجوارح، وقوله يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْنَافِ النِّدَاءِ لِأَنَّ الْكُلَّ مِنْ عَمَلِ الْجَوَارِحِ." (١)

وقد وورد فيها أكثر من قراءة قيل: "والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن، غير ابن كثير فإنه وقف عليها في «لقمان» في الموضع الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فإنه فتح ها هنا اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة، واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما".(٢)

أسلوب الأمر:

أَقِمِ الصَّلاةَ: قال تعالى:﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى مَا أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧).

لقد وصى لقمان ابنه بأهم الطاعات وأعظمها وأجمعها للفضائل ،وهي الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بعد أن يمتثل هو في نفسه ويزدجر عن المنكر،(٣) فكأنه قال يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ تكميلاً لنفسك. وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ تكميلاً لغيرك.(٤)

(١) ينظر السابق :٩٤/٢٨ .
(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١٣٦/٣ ط١ - ١٤١٨هـ. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي:٢٣٨/٦. والنشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣ هـ):٢٨٩/٢ تح: علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ)-المطبعة التجارية الكبرى
(٣) ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي :٣٥١/٤. .
(٤) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي :٢١٥/٤ .

"وقوله وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ يقتضي حضا على تغيير المنكر وإن نال ضرراً فهو إشعار بأن المغير يؤذي أحيانا."(١)

وهذا يتوافق مع سياق حال الآيات السابقة لهذه الآية وتتابعها لأن لقمان بدأ أولاً بنهى ابنه عن الشرك، ثم أتبعه بدلائل علم الله سبحانه وتعالى وعظمة قدرته ،ثم نصحه وأرشده للأخلاق الحميدة ف "أَمَرَهُ بِمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ الطَّاعَاتِ، فَبَدَأَ بِأَشْرَفِهَا، وَهُوَ الصَّلَاةُ، حَيْثُ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِهَا، ثُمَّ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ثُمَّ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يُصِيبُهُ مِنَ الْمِحَنِ جَمِيعِهَا، أَوْ عَلَى مَا يُصِيبُهُ بِسَبَبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ مِمَّنْ يَبْعَثُهُ عَلَيْهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِمَّنْ يُنْكِرُهُ عَلَيْهِ".(٢)

٢-تعابير اصطلاحية:

عزم الأمور:

"وَالْعَزْمُ: ضَبْطُ الْأَمْرِ وَمُرَاعَاةُ إِصْلَاحِهِ. وَقَالَ مُؤَرِّجٌ: الْعَزْمُ: الْحَزْمُ، بِلُغَةِ هُذَيْلٍ. وَالْحَزْمُ وَالْعَزْمُ أَصْلَانِ، وَمَا قَالَهُ الْمُبَرِّدُ مِنْ أَنَّ الْعَيْنَ قُلِبَتْ حَاءً لَيْسَ بشيء، لاطراد تَصَارِيفِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظَيْنِ، فَلَيْسَ أَحَدُهُمَا أَصْلًا لِلْآخَرِ... وَالْعَزْمُ مَصْدَرٌ، فَاحْتَمَلَ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمَفْعُولُ، أَيِ مِنْ مَعْزُومِ الْأُمُورِ، وَاحْتَمَلَ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْفَاعِلُ، أَيْ عَازِمِ الْأُمُور" (٣)

"وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يحتمل أن يريد مما عزمه الله وأمر به، قاله ابن جريج، ويحتمل أن يريد أن ذلك من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم والسالكين طريق النجاة، والأول أصوب، وبكليهما قالت طائفة" (٤)

(١)المحرر الوجيز بن عطية الأندلسي :٣٥١/٤. .
(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:٤١٦/٨.
(٣) ينظر: السابق :٤١٦/٨.
(٤) ينظر: المحرر الوجيز،بن عطية الأندلسي :٣٥١/٤.

والسياق يرجح التفسير الأول على أن المراد هو الإشارة بِ(ذَلِكَ) إِلَى جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ الله وَنَهَى عَنْهُ. لأن وصايا لقمان هي طاعات ومضامين تربوية مأمور بها البشر.

وفي هذا قال البيضاوي أن المعنى :"﴿يا بني أَقِمِ الصلاة وَأْمُرْ بالمعروف وانه عَنِ المنكر واصبر على مَا أَصَابَكَ﴾ في ذات الله تعالى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فإنها تورث المنح ﴿إِنَّ ذلك﴾ الذي وصيتك به ﴿من عزم الأمور﴾ أى مما عومه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب وإلزام أي أمر به أمراً حتماً وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أى مقطوعاتها ومفروضانها وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأموراً بها في سائر الأمم"(١).

وجاء: "إِنَّ ذلِكَ إشارة إلى الصبر أو إلى كل ما أمر به. مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب مصدر أطلق للمفعول، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ أي جد."(٢).

سابعاً: سياق الآية السابعة:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)﴾.

١-الدلالة الصوتية :

تُصَعِّرْ: ورد فيها "(صعر) الصاد والعين والراء أصل مطرد يدل على ميل في الشيء. من ذلك الصعر، وهو الميل في العنق. والتصعير: إمالة الخد عن النظر

(١) ينظر: تفسير النسفي ٧١٦/٢.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي :٢١٥/٤ .و البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:٤١٦/٨

عجبا. وربما كان الإنسان والظليم أصعر خلقة. قال الله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ [لقمان: ١٨]". (١)

وورد أيضاً: "صعر: الَّصعَر: مَيَلٌ فِي الوَجْهِ، وَقِيلَ: الصَّعَرُ المَيَل فِي الخدِّ خَاصَّةً، وَرُبَّمَا كَانَ خِلْقة فِي الإنسان والظَّليم، وَقِيلَ: هُوَ مَيَلٌ فِي العُنُق وانْقِلاب فِي الْوَجْهِ إِلى أَحد الشقَّين. وَقَدْ صَعَّرَ خَدَّه وصاعَرَه: أَمالهُ مِنَ الكِبْرِ"(٢)

-**تُصَعِّر**: تتكون الكلمة من أصوات (ص ع ر)أصوات الكلمة : فالعين صوت حلقي مجهور، رخو، مستفل، منفتح، مصمت، أما الصاد ،والراء سبق الحديث عن صفاتها، وصفات تلك الأصوات من جهر في العين وإطباق في الصاد ،وجهر وتكرار في الراء تناسب وتحاكي صعود المعنى وقوته، غالبا تأتي الصاد مع العين في المعنى الشاق الذي يكون به علو وصعود مثل: صعد صعب ،وهكذا ، والله تعالى أعلم.

-**مرح**: في قوله تعالى﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾(من آية ١٨).

جاء في المقاييس:" (مرح) الميم والراء والحاء أصل يدل على مسرة لا يكاد يستقر معها طربا. ومرح يمرح. وفرس ممراح ومروح." (٣)

وورد:" مَرِحَ، كفَرِحَ: أشِرَ، وبَطِرَ، واخْتَالَ، ونَشِطَ، وتَبَخْتَرَ)(٤).

و"مرح: المَرَحُ: شدَّة الفَرَحِ وَالنَّشَاطِ حَتَّى يجاوزَ قَدْرَه؛ وَقَدْ أَمْرَحَه غَيْرُهُ، وَالِاسْمُ المِراحُ، بِكَسْرِ الْمِيمِ؛ وَقِيلَ: المَرَحُ التَّبَخْتُرُ والاختيالُ. وَفِي التَّنْزِيلِ:﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾ أَي مُتَبَخْتِرًا مُخْتَالًا؛ وَقِيلَ: المَرَحُ الأَشَرُ والبَطَرُ) (٥)

(١)المقاييس:٣/٢٨٩.
(٢)لسان العرب:٤/٤٥٦صعر.
(٣)المقاييس٥/٣١٦.
(٤)القاموس المحيط١:/٢٤١ مرح.
(٥) لسان العرب٢/٥٩١ مرح.

وورد في كتب التفسير: "والمرح النشاط، والمشي مرحا هو في غير شغل ولغير حاجة، وأهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء، فالمرح مختال في مشيه ... وقال مجاهد «الفخور» هو الذي يعدد ما أعطى ولا يشكر الله تعالى".[١]

والسياق الصوتي يؤيد معنى الكلمة ،فأصوات الكلمة(م ر ح) الميم صوت صامت مجهور شفوي أغن.[٢]والراء سبق الحديث عن صفاتها، والحاء صوت صامت مهموس حلقي احتكاكي.(٣) فانطباق الشفتين عند النطق بالميم وما يتصف به من جهر، وأيضا جهر الراء والحركة التكرارية عند النطق بها، ورفعة الحاء كل هذا يحاكي معنى الكلمة من ارتفاع ونشاط وحركة بفخر وتبختر.والله سبحانه وتعالى أعلم.

٢-الدلالة الصرفية:

وقال تعالى:﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً ﴾:أي فرحاً مصدر وقع موقع الحال أي تمرح مرحاً أو لأجل المرح وهو البطر)[٤] وقد سبق تناولها في الدلالة الصوتية ،وصيغة المصدر هي السياق الصرفي الأوفق للمعنى .

وجاءت في الآية الكريمة مشتقات وصيغ للمبالغة هي :مختال ،فخور :" ﴿إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر ﴿فَخُورٌ﴾ من يعدد مناقبه تطاولا" [٥] وهذا السياق يؤكد معنى الآية من النهي عن هذه الصفات .

(١) ينظر: المحرر الوجيز بن عطية الأندلسي :٣٥١/٤. .
(٢)علم اللغة مقدمة للقاريء العربي :ص١٤١.
(٣) السابق :١٤٨.
(٤) ينظر: أنوار التنزيل ،للبيضاوي :٢١٥/٤ .
(٥):تفسير النسفي :٧١٦/٢ .و البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:٥٠/٧

٣-الدلالة التركيبية:

أسلوب نهي :

قال تعالى:﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾ الواو حرف عطف ولا ناهية وتصعر فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أنت "[١]"

وجاء: "صَعَّرَ: مُشَدَّدُ الْعَيْنِ، لُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ. قَالَ شَاعِرُهُمْ:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنَا لَهُ من ميله فيقوم

...وَيُقَالُ: أَصْعَرَ خَدَّهُ. قَالَ الْفَضْلُ: هُوَ الْمَيْلُ، وَقَالَ الْيَزِيدِيُّ: هُوَ التَّشَدُّقُ فِي الْكَلَامِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَصْلُ هَذَا مِنَ الصَّعَرِ، دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ في رؤوسها وَأَعْنَاقِهَا، فَتَلْتَوِي مِنْهُ أَعْنَاقُهَا.) [٢]

وورد:﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: أَيْ لَا تُوَلِّهِمْ شِقَّ وَجْهِكَ، كَفِعْلِ الْمُتَكَبِّرِ، وَأَقْبِلْ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِكَ مِنْ غَيْرِ كِبْرٍ وَلَا إِعْجَابٍ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْجَمَاعَةُ. قَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادُ: نَهَى أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَلا تُصَعِّرْ، أَرَادَ بِهِ الْإِعْرَاضَ، كَهَجْرِهِ بِسَبِّ أَخِيهِ". [٣]

"وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وابن محيصن «ولا تصاعر» ، وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر والحسن ومجاهد وأبو جعفر ﴿ولا تصعر﴾، وقرأ الجحدري﴿ولا تصعر﴾ بسكون الصاد والمعنى متقارب، ... ويحتمل أن يريد أيضا الضد، أي «ولا تصاعر خدك» سؤالا ولا ضراعة بالفقر، والأول أظهر بدلالة ذكر الاختيال والفخر بعده" [٤]

---

(١)إعراب القرآن وبيانه :٥٤٣/٧ .
(٢) ينظر:البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : ٤٠٧/٨.
(٣)السابق ٤١٥/٨ .
(٤) ينظر: المحرر الوجيز بن عطية الأندلسي :٣٥١/٤. .

وأرى أن السياق اللغوي وكذلك سياق الحال للآية يؤيد تفسيرها بمعنى التكبر والتعالي على الناس، حيث ذكر أن اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ وهو علة للنهي، وكذلك تأخير الفَخُورٍ وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحاً وورد في كتب التفسير أن هذا لتوافق رؤوس الآي. (١)

وجاء:" قال تعالى:﴿و لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ولا تمش عطف على ولا تصعر وفي الأرض متعلقان بتمش ومرحا مصدر وقع موقع الحال أو نعت لمصدر محذوف أي مشيا مرحا أو مفعول لأجله أي لا تمش لأجل المرح والأشر. » (٢).

وسياق حال آيات الوصايا يؤكد أن لقمان: لَمَّا وَصَّى ابْنَهُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِذْ صَارَ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُمْتَثِلًا لِلْمَعْرُوفِ مُزْدَجِرًا عَنِ الْمُنْكَرِ، أَمَرَ بِهِ غَيْرَهُ وَنَاهِيًا عَنْهُ غَيْرَهُ، نَهَاهُ عَنِ التَّكَبُّرِ عَلَى النَّاسِ وَالْإِعْجَابِ وَالْمَشْيِ مَرَحًا، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْمُخْتَالَ، وَهُوَ الْمُتَكَبِّرُ، وَلَا الْفَخُورَ الَّذِي قد يُعَدِّدُ مَا أَعْطَى، وَلَا يَشْكُرُ اللَّهَ ، ويفتخر بنسب .(٣)

وَنَظِيرُ المختال الفخور قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٤) ، "وَالْمَشْيُ الْهَوْنُ: هُوَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ ضَرْبٌ بِالْأَقْدَامِ وَخَفْقُ النِّعَالِ فَهُوَ مُخَالِفٌ لِمَشْيِ الْمُتَجَبِّرِينَ الْمُعْجَبِينَ بِنُفُوسِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ. وَهَذَا الْهون ناشىء عَنِ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالتَّخَلُّقِ بِآدَابِ النَّفْسِ الْعَالِيَةِ وَزَوَالِ بَطَرِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَكَانَتْ هَذِهِ الْمِشْيَةُ مِنْ خِلَالِ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى الضِّدِّ مِنْ مَشْيِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ " .(٥)

(١) ينظر: أنوار التنزيل ،للبيضاوي :٢١٥/٤ .
(٢)إعراب القرآن وبيانه :٥٤٣/٧ .
(٣)البحر المحيط ٤١٥/٨ .
(٤) سورة الفرقان :آية٦٣.
(٥)التحرير والتنوير ٦٨/١٩.

ثامناً: سياق الآية الثامنة:﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾

١-الدلالة الصرفية:

صيغة (لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)ورد فيها: يجوز أن يعني به الكثرة، لأنه مصدر، والمصادر تدل على الكثرة، وإن كانت مفردة الألفاظ ، أوهو جمع من حيث لكل حمار صوت مختص ،وأفرد من حيث الأصوات كلها نوع. (١)

٢-الدلالة التركيبية:

أسلوب الأمر:

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ الواو عاطفة واقصد فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفي مشيك متعلقان بأقصر واغضض من صوتك عطف على ما تقدم. (٢)

واقصد : توالت أساليب الأمر في النصح والإرشاد من لقمان لابنه في سياق وصاياه فبعد نهيه عن الأخلاق الذميمة أتم وصاياه بالحث على الأخلاق الحميدة والسلوك الحسن فقال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩)

"الْقَصْدُ فِي المشي، بحيث لا يبطىء، كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَنَامِسُونَ وَالْمُتَعَاجِبُونَ، يتباطؤون فِي نَقْلِ خُطُوَاتِهِمُ الْمُتَنَامِسِينَ لِلرِّيَاءِ وَالْمُتَعَاجِبُ لِلتَّرَفُّعِ، وَلَا يُسْرِعُ، كَمَا يَفْعَلُ الْخَرِقُ الْمُتَهَوِّرُ... وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كَانُوا يَنْهَوْنَ عَنْ خَبَبِ الْيَهُودِ وَدَبِيبِ النَّصَارَى،

(١) ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي:٣٥١/٤.
(٢) إعراب القرآن وبيانه ،محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ٥٤٣/ ٧.

وَلَكِنَّ مَشْيًا بَيْنَ ذَلِكَ. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: اجْعَلْ بَصَرَكَ مَوْضِعَ قدمك. وقرىء: وَأَقْصِدْ، بِهَمْزَةِ الْقَطْعِ: أَيْ سَدِّدْ فِي مَشْيِكَ مِنْ أَقْصَدَهُ الرَّامِي إِذَا سَدَّدَ سَهْمَهُ نَحْوَ الرَّمِيَّةِ، وَنَسَبَهَا ابْنُ خَالَوَيْهِ لِلْحِجَازِ." (١)

"وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ توسط فيه بين الدبيب والإسراع.وعنه عليه الصلاة والسلام: (سرعة المشي تذهب بهاء المؤمنين)"(٢)

"وَالْغَضُّ مِنَ الصَّوْتِ: التَّنْقِيصُ مِنْ رَفْعِهِ وَجَهَارَتِهِ، وَالْغَضُّ: رَدُّ طُمُوحِ الشَّيْءِ، كَالصَّوْتِ وَالنَّظَرِ وَالزِّمَامِ."(٣) إذن كل ما بعد عن الغض والخفض للصوت هومن أنكر الأصوات وأقبحها.

وَقِيلَ:"وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ: إِشَارَةٌ إِلَى الْأَفْعَالِ، وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ: إِشَارَةٌ إِلَى الْأَقْوَالِ، فَنَبَّهَ عَلَى التَّوَسُّطِ فِي الْأَفْعَالِ، وَعَلَى الْإِقْلَالِ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ." (٤)

وهذا ذم بليغ وتنفير عن رفع الصوت حيث قال أبو حيان :" شُبِّهَ الرَّافِعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالْحَمِيرِ، وَأَصْوَاتُهُمْ بِالنُّهَاقِ، وَلَمْ يُؤْتَ بِأَدَاةِ التَّشْبِيهِ، بَلْ أُخْرِجَ مَخْرَجَ الِاسْتِعَارَةِ، وَهَذِهِ أَقْصَى مُبَالَغَةٍ فِي الذَّمِّ وَالتَّنْفِيرِ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ. وَلَمَّا كَانَ صَوْتُ الْحَمِيرِ مُتَمَاثِلًا فِي نَفْسِهِ، لَا يَكَادُ يَخْتَلِفُ فِي الْفَظَاعَةِ، أُفْرِدَ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ".وقِيلَ: "هُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَرَغَتْ وَصِيَّةُ لُقْمَانَ فِي قَوْلِهِ: وَاغْضُضْ

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:٤١٦/٨.وتفسير النسفي ٧١٧/٢

(٢) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) (٢٩٠/١٠) ، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.والحديث رَوَاهُ أَبُو نعيم فِي الْحِلْية فِي تَرْجَمَة أبي جَعْفَر يَعْقُوب بن الْفَرَجِيّ من حَدِيث أبي معشر عَن سعيد المَقْبُري عَن أبي هُرَيْرَة وَأَبُو معشر فِيهِ مقَال. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ) (٧٥/٣). تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي:٤١٧/٨

(٤) السابق:٤١٧/٨.

مِنْ صَوْتِكَ رَدًّا لِلَّهِ بِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَفَاخَرُونَ بِجَهَارَةِ الصَّوْتِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ يُؤْذِي السَّامِعَ وَيَقْرَعُ الصِّمَاخَ بِقُوَّةٍ، وَرُبَّمَا يَخْرُجُ الْغِشَاءُ الَّذِي هُوَ دَاخِلُ الْأُذُنِ."[١]

والسياق الخارجي يؤيد معنى الآية الكريمة من الأمر بغض الصوت وخفضه حيث ورد أن ذلك كان من أخلاق الجاهلية ونهى عنه رسول الله (ﷺ)، حيث جاء"(غض الصوت) أوفر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه، ... ، وقال سفيان الثوري: صياح كل شيء تسبيح إلا نهيق الحمير، وقال عطاء: صياح الحمير دعاء على الظلمة، وأَنْكَرَ معناه أقبح وأخشن، وأَنْكَرَ عبارة تجمع المذام اللاحقة للصوت الجهير، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَفْتَخِرُ بِجَهَارَةِ الصَّوْتِ، وَتَمْدَحُ بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِر :(المتقارب)

جَهِيرُ الْكَلَامِ جَهِيرُ الْعُطَاسِ ... جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النعيم

وَيَخْطُو عَلَى الْأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ ... وَيَعْلُو الرِّجَالَ بِخَلْقٍ عميم

فنهى الله تعالى عن هذه الخلق الجاهلية."[٢]

وفاصلة الآية الكريمة:﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ الجملة تعليل للأمر بخفض الصوت بصورة مؤكدة وإن واسمها والأصوات مضاف اليه واللام المزحلقة للتأكيد وصوت الحمير خبر إن. [٣]

وصوت الحمير هو من أنكر الأصوات "لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار".[٤]

(١) السابق:٤١٧/٨.
(٢) ينظر: المحرر الوجيز بن عطية الأندلسي :٣٥١،٣٥٢/٤ .
(٣)إعراب القرآن وبيانه : ٤٤٧/٥.
(٤) ينظر: تفسير النسفي ٧١٧/٢.

الخاتمة

(سورة لقمان) إن تسمية هذه السورة باسم لقمان الحكيم أمر له دلالة في فضل لقمان ومكانته الخاصة لدى الخالق عز وجل، فامتدحه سبحانه وتعالى فيها ، وأنزل في آياتها وصاياه لابنه وصايا تخلد وتتلى إلى يوم القيامة.

فاختصاص السورة الكريمة بحكم ومواعظ لقمان الحكيم أمر تميزت به في القرآن الكريم ،وقد عالجت وجمعت في وحدة موضوعية وتسلسل معجز أكثر من موضوع حيث اشتملت على : قضية العقيدة والإيمان بوحدانية الله وعلمه الواسع وقدرته التي لا يحيط بها عقل ،مع وجوب طاعته والامتثال لأوامره والشكر على نعمه ،واليقين بالآخرة وما بها من حساب .

ولا غرابة في تركيز مواضيع السورة على جوانب العقيدة إذا ما علمنا أنها مكية نزلت في مرحلة زمنية متقدمة حين كان الرسول في مكة؛ حيث أراد له الله سبحانه وتعالى أن يتوجه بالخطاب للقلوب البشرية.

وتعتبر وصايا لقمان الحكيم لابنه نموذجاً تربوياً إسلامياً مستمداً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهي صورة من صور المنهج القرآني في التربية التي تناسب الإنسان ، لاشتمالها على الجوانب العقدية والاجتماعية والأخلاقية والسلوكية ،فقد جمعت بين الأسس النظرية والتطبيقية، وتناولنا لدلالات الوصايا الحكيمة للحكيم لقمان أمر به تدبر وتفكر لأوجه إعجاز القرآن الكريم وأسرار فصاحته وبلاغة معانيه:

ومن أهم نتائج هذا البحث:

-أوضح البحث أهمية السياق بنوعيه، وأثره في دفع التوهم الذي يلحق بالكلمات ذات المعاني المتعددة ،وما تقتضيه من تفسير غير المراد.

-أثبت البحث أن للسياق النفسي أثراً في تحديد المعنى المراد ، وهذا تمثل في سرد الوصايا ،وتهيئة المخاطب للامتثال لها، وتم إيضاح ذلك في بعض الأمثلة .

-لقد نقلت أساليب الأمر في الوصايا أغراض الآيات الكريمة فأدت وظيفتها الدلالية من خلال السياق المراد من كل آية، فكل ما أتى في الآيات الكريمة من أساليب الأمر كان على سبيل النصح والإرشاد والوعظ .

-مناسبة دلالة فواصل الآيات لدلالة السياق القرآني التي وردت فيه، كما أنها تنوعت فلم تتفق في الوزن والروي إلا في آيتين ،وهذا يدل على تنوع مضامين الوصايا.

-تميزت السورة الكريمة من خلال سياق حال آياتها بالطمأنينة والتألف والانسجام والتناسب المستمر بين آياتها ،حيث كان للسياق اللغوي والنفسي دوراً مهماً في التأكيد على معاني الآيات .

-السمات العامة للسياق الداخلي للسورة تمثلت في أن آيات الوصايا احتوت على الوعظ والارشاد والتحذير والاستمالة والإقناع بكل أمر ونهي ورد في الوصايا.

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات

ثبت المراجع والمصادر

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)تح:محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢. إعراب القرآن وبيانه ،محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)- دار الإرشاد للشئون الجامعية. حمص. سورية،(دار اليمامة. دمشق .بيروت) (دار ابن كثير. دمشق .بيروت)ط٤ ١٤١٥ هـ.

٣. أنوار التنزيل ،للبيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت ٦٨٥هـ) تح:محمد عبد الرحمن المرعشلي.دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت ٦٨٥هـ) تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١ – ١٤١٨ هـ.

٥. البحر المحيط في التفسير،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)

٦. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ،تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي ط١: ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.

٧. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)تح محمد أبو الفضل إبراهيم –ط١ ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م– دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركائه.

٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تح: محمد علي النجار–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.عام١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) تح: مجموعة من المحققين– دار الهداية. تح: صدقي محمد جميل– دار الفكر – بيروت– ط ١٤٢٠ هـ.

١٠. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) –الدار التونسية للنشر – تونس عام ١٩٨٤ هـ.

١١. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) .تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي،بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة–دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان–ط١ ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

١٢. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)،أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ) تح: يوسف علي بديوي مراجعة: محيي الدين ديب مستو – دار الكلم الطيب، بيروت ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

١٣. تهذيب الأسماء واللغات ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٤. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٤.

١٥. دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية – ط٥ عام ١٩٨٤ م.

١٦. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي. ط ١دار المنار بالقاهرة – ١٤١١ هـ –١٩٩١ م.

١٧. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة وتعليق د. كمال بشر: – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.

١٨. علم الدلالة اللغوية، د. عبد الغفار حامد هلال: ط أولى عام ٢٠٠٠م.

١٩. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران– ط ٢– دار الفكر العربي – ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.

٢٠. القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت سنة ٨١٧ هـ) تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي– مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢١. الكلمة، دراسة لغوية معجمية، د. حلمي خليل. دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٨ م.

٢٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) ص٣٨٢ تح: عدنان درويش – محمد المصري– مؤسسة الرسالة– بيروت.

٢٣. لطائف الإشارات = تفسير القشيري ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري(ت ٤٦٥هـ) تح: إبراهيم البسيوني–الهيئة المصرية العامة للكتاب.مصر .ط٣.

٢٤. اللغة، ج.فندريس ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص: مكتبة الإنجلو المصرية،١٩٥٠م.

٢٥. مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور: – دار الفكر ٢٠٠٨ م.

٢٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) تح: عبد السلام عبد الشافي محمد–دار الكتب العلمية – بيروت ط١– ١٤٢٠ هـ.

٢٧. المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية ، د محمد حسن حسن جبل مكتبة الآداب ط ٤ ١٤٢٧ – هـ ٢٠٠٦ هـ.

٢٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ) ،تح : عبد الرزاق المهدي ،دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ ،١٤٢٠ هـ. معجم لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (ت ٧١١هـ) دار صادر – بيروت ط٣ – ١٤١٤ هـ.

٢٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)تح: عبد السلام محمد هارون– دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٠. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) –دار إحياء التراث العربي – بيروت ط٣ ١٤٢٠ هـ.

٣١. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ) ، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٢.من أسرار التعبير في القرآن (الفاصلة القرآنية) د. عبد الفتاح لاشين– دار المريخ للنشر.

٣٣. من ظواهر السياق الصوتي عند علماء التجويد د. عبد العزيز علام ،بحث نشر بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، جامعة الأزهر، عدد ٨ – ١٩٩٠م.

٣٤. النشر في القراءات العشر،شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣ هـ) تح: علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ)–المطبعة التجارية الكبرى.

٣٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ،دارالكتاب الإسلامي، القاهرة..

٣٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس. قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي. دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ط١– ١٤١٥ هـ– ١٩٩٤م.